



روايات مصرية للجيب

المرأة السوداء

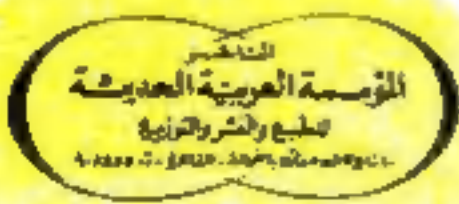


Looloo

www.dvd4arab.com



د. نبيل فاروق



« (أكرم) .. (أكرم) »

أطلق المهندس (حسنى) ذلك الهتاف ، وهو
يلوح بلباعه في حرارة ، وينطلق عبر الطريق المزدحم
بالسيارات في وقت الظهيرة ، غير مبالي بأبواقها
الغاضبة المستنكرة ، ولا بصرير السيارة ، التي توقفت
على قيد خطوة واحدة منه ، ولا بسباب قائدها ، الذي
حاول إفراغ ثورته وغضبه ، وأعصابه المتوترة في
صراخه الساخط ، قبل أن يعود إلى سيارته ، استجابة
لأبواق السيارات التي تقف خلفه ، وينطلق بها في حلق
واضح ..

لم يبالي المهندس (حسنى) بكل ذلك ، لأنه لم
يشعر به ..

كانت حواسه كلها تتركز عند وجه شاحب ،
لشاب وسيم نحيل ، يسير شاردأ ، بخطوات سريعة ،

المرأة السوداء

يا دموع الزهر يا هب ونار
أنصني ، جاء العذاب بلا اختيار
أظلمت مرآة حبي في انكسار
حطمت ضوء الحجة والفخار
صرت نسباً في طريق الاندثار
زينت أزهار حزني كل دار
أين قلبي ؟ في هنا أم مرار ؟
في ظلام الليل أم وضوح النهار ؟
في ضياع أم دمار أم فرار ؟
في هوان أم جحيم الاندحار
لست أدري فيم يعني الانتظار
قبل أن تمضي الحياة إلى قرار
(نيل)

دون أن يلتفت خلفه ، أو يميل بعينه السوداءين
الحزينتين بمئة أو يسرة ..

وفي خطوات قافزة ، أقرب إلى العدو ، لحق
(حسنى) بالشاب ، ووضع يده على كتفه ، وهتف
في لهات بموج بالانفعال :

— (أكرم) .. كيف حالك يا صديق ؟
التفت إليه الشاب : وحدّجه بعينين شاردتين
ساهمتين لحظة ، ثم انفرجت شفّته عن ابتسامة فاترة ،
وهو يغمغم :

— كيف حالك أنت يا (حسنى) .

شعر (حسنى) بعطف وإشفاق شديدين ، وهو
يتأمل في ملامح صديقه الذابلة ، وعينه اللتين فقدتا
نألقهما ، وعاد يربت على كتفه ، وهو يغمغم في حنان :

— ماذا أصابك يا (أكرم) ؟ .. إنك تبدو شخصاً
مختلفاً تماماً ، عن ذلك الذى رأيته منذ شهر واحد ،
قبل سفرك لتنفيذ مشروع الإسكندرية .

شرد (أكرم) لحظة أخرى ، وغمغم في صوت
اعتصر الألم في قلب (حسنى) .

— شهر واحد .. يا إلهي !! .. لقد خلته دهرأ .
أحاط (حسنى) كتف صديق عمره في انفعال ،
وكأنه يحاول حمايته من حزنه ، وهتف به في ودّ خالص :
— ماذا حدث يا (أكرم) ؟ .. لاني لم أرك أبداً
على هذا النحو .

أطرق (أكرم) برأسه ، وغمغم في حزن :

— دوام الحال من الحال يا صديق .

ساد الصمت بينهما لحظات ، و (حسنى) يتفرّس
وجه صديقه في جزع وإشفاق ، ثم تأبط ذراعه ، وقال
في لهجة تجمع بين الحزم والحنان :

— هيا بنا إلى منزلى ، أدعوك لتناول الغداء ،
وستحدث عن مشكلتك .

بدا لحظة وكأن (أكرم) سيعترض ، ولكنه لم
يلبث أن سار إلى جوار صديقه في صمت ، واستسلام ،
دون أن يتبادل أحدهما مع الآخر كلمة واحدة ، حتى

وصلا إلى منزل (حسنى) ، وهناك استقبلتهما والدته
(حسنى) فى حنان دافق ، وصافحت (أكرم) فى
لحظة وحرارة ، توحى بقوة الصداقة بينه وبين ابنتها
الوحيد ، ولاح فى عينيها لحظة جزعها من ذلك الذبول
الذى أصابه ، ولكن نظرة متفهمة تبادلها الابن وأمه ،
جعلتها تخفى مشاعرها فى أعماقها ، وتسجن سؤالها
المتلهم فى أعماق قلبها ، وتفتعل المرح ، وهى تقول :
- سأعد لكما كويين من الشاى الساخن ، حتى
ينتهى إعداد الطعام .

شكرها (أكرم) بكلمات خافتة ، وترك صديقه
يقوده إلى حجراته ، وهو يلتزم نفس الصمت والامتثال ،
حتى أغلق (حسنى) باب الحجرة ، والتفت إلى صديقه ،
الذى جلس شاحباً على مقعد بجوار الفراش ، وخيم الصمت
عليهما لحظة أخرى ، قبل أن يسأله (حسنى) فى صوت
أجش ، مفعم بالانفعالات :

- حسناً يا (أكرم) .. ماذا حدث ؟

ظل (أكرم) صامتاً بعض الوقت ، يُحدِّق فى

أرضية الغرفة فى شروء ، وإن لم يخف تألق الدمع فى
عينه عن (حسنى) ، الذى تضاعف جزعه ، وتعاطفت
لوعته ، وتصاعد تساؤله ، وإن لم يحاول أن يقطع صمت
صديق طفولته ، الذى رفع إليه عينيهِ الدامعتين بعد
لحظات ، وسأله فى صوت بدا - لدهشته - هادئاً :

- هل قرأت شيئاً عن انفصام الشخصية يا (حسنى) ؟
كان السؤال مبالغاً عجبياً ، ولكن (حسنى) سيطر
على دهشته بسرعة ، واستتج بسرعة أن لهذا السؤال
التفسير الأكبر لما يعاينيه (أكرم) ، فأجابته فى لهجة ،
حاول أن يضفى عليها بعض الهدوء والتماسك :

- بعض المعلومات التى تنشرها الصحف فحسب ،
ورواية أو روايتين عن هذا المرض النفسى الشهير .
بدا صوت (أكرم) مفعباً بمزيد من الحزن ،
وهو يسأله :

- وهل تعتقد أن المصاب بهذا المرض يمكنه أن
يحمل فى أعماقه نقائص الشاعر ؟

عقد (حسنى) حاجبيه ، وهو يتأمل فى حيرة

وتساؤل ، مما جعل (أكرم) يردف في حلق عجيب :

— أعني هل تحمل نفسه الحنان والقسوة في آن

واحد ؟ .. الرقة والحشونة ؟ .. الجفاء والعذوبة ؟ ..

الجمال والقبح ؟ .. هل يمكن هذا يا (حسنى) ؟

هز (حسنى) رأسه في حيرة ، وتتمم :

— أعتقد ذلك يا (أكرم) ، فانقسام الشخصية

يعني أن يحمل المرء شخصيتين متناقضتين ، كأن تكون

إحداهما لزاهداً ، والأخرى لفاسق مثلاً ، أو لرجل

قانون ومجرم .. تماماً مثل قصة (دكتور جيكل ومستر

هايد) ، التي كتبها (روبرت لويس ستيفنسن) ، والتي

تصور فيها اختراع عقار ما ، ينزع من النفس أعماقها

الشريرة و ..

أوقفه (أكرم) بإشارة من يده ، وقال :

— أرجوك يا (حسنى) .. لست هنا لمناقشة

ندوة أدبية ، وإنما ..

حارت الكلمات على شفثيه ، وانتقلت حيرته إلى

عينيه ، فبتر عبارته ، وعاد يطرق برأسه أرضاً ، محاولاً

***** ١٠ *****

إخفاء دموعه مما دفع صديقه إلى سؤاله في حنان وإشفاق :

— ماذا حدث يا (أكرم) ؟

تنهد (أكرم) في عمق ، وكأنه قد قرّر أخيراً

الإفصاح عن سره ، وإلقاء حزنه على لسانه ، ثم قال

دون أن يرفع عينيه إلى صديقه :

— لقد أحببت .

رفع (حسنى) حاجبيه في دهشة ، وهتف :

— أحببت ؟ .. وهل فعل بك الحب كل هذا ؟

أوماً (أكرم) برأسه إيجاباً ، وعغم في ألم :

— لقد كدت أجن .

جذب (حسنى) مقعداً ، وجلس إلى جوار صديقه ،

ورثت على كفه في حرارة وحنان ، وهو يهمس :

— أخبرني ماذا حدث يا (أكرم) .. منذ البداية .

هز (أكرم) رأسه لحظة ، وقال :

— نعم يا (حسنى) .. سأقص عليك كل شيء .

وبدا يروي قصته ..

***** ١١ *****

٢ - على شاطئ البحر ..

بدأت قصتي عندما قررت الشركة الهندسية ، التي
أعمل بها ، إنشاء مجموعة من الفيلات على شاطئ
العجمي ، وبيعها في مزاد علني . ولما كنت من أقدم
المهندسين العاملين بالشركة منذ إنشائها ، فقد كلفتني
الإشراف على المشروع الجديد ، ومنحتني كل السلطات
الكافية . بالإضافة إلى بدل انتقال كبير ، جعلني
لا أتردد لحظة واحدة في قبول التكليف ، فأعددت
حقائبي ، وسافرت في اليوم التالي إلى الإسكندرية ،
وأنا أحلم بالنجاح في هذا المشروع ، وبما سيستتبعه
ذلك من إظهار لكفاءتي ، واحتمالات الترقية والتفوق ،
والوصول إلى مركز أرق داخل الشركة ..

ولم أكد أطأ أرض العجمي ، حتى بدأت العمل في
همة ونشاط وحماس ، وقد اتخذت قراراً بإنهاء المشروع
قبل الموعد المحدود ، وانتقل حماسي إلى العاملين ، فسار

العمل على خير وجه ، وتضاعفت آمالي ، وأحلامي
بالنجاح ..

وبعد مضي ثلاثة أيام تقريباً على بدء العمل ،
كنت أجلس فوق الرمال ، ألتقط بعض أنفاسي بعد
عمل شاق ، وأرقب قرص الشمس ، الذي بدأ يميل إلى
الغروب ، وأعماق كلها تفيض بالنشوة ، أمام هذا المشهد
الطبيعي الرائع ، الذي لا يمل الإنسان رؤيته أبداً ،
حينما رأيته ..

لم أصدق عيني في البداية ..
ظننتها وهماً صنعته الظلال ، التي يلقيها قرص
الشمس المحتضر ..

خطتها خيالاً انبعث من أعماق ، ليكمل بهاء الصورة
وروعتها ..

ولكنها كانت أجمل من الخيال ..
كانت فتاة رائعة الجمال ، بالغة الرقة ، تهادي في
خطوات ناعمة رقيقة ، وكأنها لا تمس الأرض بقدميها ،
وثوبها البقسجي ، الذي يتماوج مع نسيمات البحر ،

يمتزج بألوان الشفق في لحظة الغروب ، ليكمل شعرها
الأسود الحريري ، المتطاير خلف رأسها ، لوحة الطبيعة
وجمالها ..

لم أتبين وجهها من المسافة التي كنت أنظر إليها
منها ، ولكنني كنت موقناً من أنه لا يقل جمالا عن رقتها
ونعومتها ..

وتابعها ببصرى ، وهي تسير بمحاذاة الأمواج ،
التي تمس أقدامها في نعومة ، وكأنها تمشي خشونة
أملأها عليهما ، والفتاة تنقل قلمها في رقة ، وكأنها
تمحو على الأمواج ، وتستنكر تحطيمها بخطوات سريعة ..
ولا يمكنك أن تتصور روعة المشهد ، حينما أصبح
ذلك الملاك بيني وبين قرص الشمس ، الذي تضاعف
حجمه ، وأحمر لونه ، وهو يغوص في مياه البحر ..
لقد أحاط بها قرص الشمس كإطار رائع ،
وحجب ملامحها كلها لتبدو كلوحة سوداء (سليويت) ،
بشعرها المتطاير ، وثوبها المتماوج ..

أقسم لك أنني لم أحب اللون الأسود ، بقدر

ما أحبته في هذه اللحظة ، وأنا أتطلع إليها في انبهار ،
وقد خلبت رقتها لبي ..

ولقد ألقى قرص الشمس بظلها إلى مسافة طويلة ،
حتى بدا ظل شعرها المتطاير ، وكأنه تحت أقدامى ..
وكدت أقدم على عمل أخرق عجيب في هذه اللحظة ..
كدت ألقى بنفسى على ظلها ، وأشبعه ثقيلًا ..

ولكن رصاتي القديمة ، وبقايا من قلوتى على
التفكير ، منعانى من ذلك وسمرانى مكاني ، وأنا أحدى
في تلك الفتاة ، التي توقفت عن السير ، وأدارت رأسها
إلى قرص الشمس ، وكأنها تكعجل عينها بجمال اللحظات
الآخيرة للغروب ..

أما أنا فقد نسيت الغروب ..

نسيت الطبيعة .. نسيت نفسى ..

لم أعد أرى سواها ، وقرص الشمس يغوص
ويغوص ، حتى اختفى تماماً ..

وهنا استدارت الفتاة ، وسارت في خطواتها
الرقيقة الناعمة ، مبتعدة عن الشاطئ ..

وخفق قلبي في انبهار ..

لقد كانت تبدو وكأنها تتجه بخطواتها إلى حيث
أجلس ، وهي تنظر إلى موضع قدميها ، وتخطو فوق
الرمال برقة عجيبة ، حتى ليخيل إليك أن أقدامها لن
ترك أثراً فوقها ..

وأخيراً رأيت ملامحها في وضوح ..

كانت ضئيلة الجسد ، رقيقة ، تتألق بشرتها
الوردية في وجهها المستدير ، ويبدو حاجباها الرقيقان
المتناسقان كإطار رائع ، فوق أهدابها السوداء الطويلة ،
وفها كلمرة فراولة ، رقيق ، دقيق الشفتين ، صغير ،
أحمر كالدم ..

واختلج قلبي ، وأنا أدعو الله - سبحانه وتعالى -

أن ترفع عينها إلى وجهي ..

ولقد فعلت ..

كانت عيناها عسليني اللون واسعتين ، رأيت فيهما

رقة العالم كله ، وحنانه ، وخجله ..

فقد أربكتها نظراتي المضروسة ، ودفعت دماء

الخجل إلى وجهها الجميل ، فزادت في جماله وبهائه ،
وتوقفت لحظة في ارتباك ، ثم عادت تخفض عينيها ،
وتسرع الخطا مبتعدة ، وأنا أتابعها ببصري ، حتى
رأيتها تغيب داخل قنلا مجاورة ، وتغلق بابها خلفها في
ارتباك وخجل ..

وشعرت بارتياح عجيب يغمرني ، لأنها تقيم إلى

جوار موقع العمل ..

هذا سيضمن لي رؤيتها كل يوم على الأقل ..

ولكنني شعرت أن رؤيتها وحدها لن تكفيني ،

لا بد أن أتحدث إليها ، وأعرف عنها الكثير ..

لا بد أن أخبرها عن نفسي ..

عن عملي ..

عن حياتي ..

وشعرت في تلك اللحظة أن القدر قد ربط بيتنا ..

لست أدري كيف ، ولكنه فعل ..

هذا ما حدثت نفسي به في تلك الليلة ..

لقد حاولت أن أنام ، ولكنني فشلت ..

كان وجهها الجميل يملأ عقلي وخيالي ، ويمنع
النوم من التسلل إلى أعماقي ..

ورحت ألقى على نفسي عشرات الأسئلة ..
من أدراك أنها منتشر نحوك بما تشعر به نحوها ؟ ..
ما أدراك أنها ليست ملكاً لرجل آخر ؟ ..
وما هو هذا الذي تشعر به نحوها ؟ ..

إن معرفتك بها لم تتعد لحظات ..
إنه انبهار فحسب ..

وظللت أتقلب في فراشي طوال الليل ، وكأنني
أوقد فوق جمر مشتعل ، إلى أن أشرق الصباح ، وقد
استقر رأبي على التحدث إليها ..

وفي ذلك اليوم فتر حماسي للعمل تماماً ، فقد كنت
أنطلع طوال الوقت إلى شرفة فيلتها ، مترقباً ظهورها ،
وقلبي يرقص بين ضلوعي في لهفة وأمل ، وتحسول
تراقصه إلى اختلاجة قوية ، حينما رأيته تقف في شرفة
الفيلا ..

كانت تبدو أكثر جمالا ورقة في ضوء الشمس ،

***** ١٨ *****

وكان شعرها الفاحم ينسدل على كتفها في نعومة ، وبدا
ثوبها البنفسجي أكثر زهواً ، وتناشفاً على جلدتها
الفضيل ، ورأيتهما تجلس على مقعد « من مقاعد الشاطئ » ،
في شرفة الفيلا ، ووجهها إلى البحر ، ثم تأخذ في مطالعة
كتاب صغير ، بدا وكأنه يجلب انتباهها تماماً ..
وترددت طويلاً ..

كل حماسي للحديث معها تبخر مع توترى ، حينما
رأيته ..

كنت أخشى أن تصدني ، إذا ما حاولت مجاذب
أطراف الحديث معها ، وكنت أعلم أن صدها قد يحطم قلبي ،
ولكنني في النهاية استجمنت شجاعتي ، وسرت إليها ..
كانت ساقاي تتخاذلان ، وأنا أقرب من شرفة
الفيلا ، ولكنني واصلت السير ، حتى أصبحت إلى
جوارها ، فتنحنحت منبهاً إياها إلى وجودي ، والتفت
إلي في دهشة ، ثم أسبلت جفניה في حياء صبيغ بشرتها
الوردية بالحمرة ، فأسرعت أقول :

— صباح الخير ..

***** ١٩ *****

غمغمت في رقة ، وهي تبسم ابتسامة رقيقة ،
خلبت لبّي :

— صباح الخير .

غلبني الصمت ، وأنا أتأمل في وجهها ، الذي ازداد
احمراراً وخجلاً ، ثم قلت :

— اسمي (أكرم) ، مهتمس مدني ، ومسئول عن
مشروع الفيلات الجديدة .

عادت تغمغم في رقة :

— مرحباً بك .

شعرت بالحيرة بعد عبارتها ، فلم أكن قد أعددت
ما أقول ، وشعلنا الصمت لحظة خلقتها دهرأ ، ثم قالت
في رقة أعادت إلى نفسي الأمل :

— وأنا (نسرین) طالبة في كلية العلوم ، في
السنة الثانية .

كانت هذه أجمل عبارة سمعتها في حياتي كلها ،
فقد كانت تعني أنها توافق على تعارفنا ، وعلى استمرار
حديثنا ، فسألتها في مرح ، وأنا أحاول مدّ الحديث :

— ماذا تقرئين ؟

ابتسمت وهي تقول :

— رواية عاطفية جميلة .

سألتها في اهتمام :

— هل تحبين الروايات العاطفية ؟

عاد وجهها يتخضب بحمرة الخجل ، وهي تقول :

— أعتقد أن كل الفتيات يحبينها .

وبدا بيننا أول حديث حول الروايات العاطفية ،

وامتد إلى طبيعة العواطف ، ثم إلى مواضيع أخرى ،

وأخرى ، وأخبرتني عن عائلتها الصغيرة ..

عن أمها ، وأبيها الراحل ، وشقيقتها الوحيدة ..

وأخبرتني الكثير عن نفسها ، وأخبرتها الكثير عن

نفسي ..

ومضى الوقت في سرعة عجيبة ، حتى فوجئت

بأمها أمامنا ، تتأملنا في مزيج من الدهشة والحنان ،

وأسرعت (نسرین) تعرف كلاً منا بالآخر ، واستقبلتني

والدتها في ترحاب ، ثم قالت في حنان ذكرني بأمي :

٣ - ونسج الحب خيوطه ..

لست أدري كيف يحدث هذا ؟ ..

كيف يتسلل الحب إلى القلب ، وينسج خيوطه في أعماقه ؟ ..

لا توجد قاعدة علمية واحدة للحب ، ولا حتى قانون واحد « ولكن أحداً لا يمكنه إنكار وجوده ، أو رفضه ، فهو دائماً أقوى من الرفض والإنكار ، وأكثر وقماً من نبض القلب ، وانتظام الأنفاس ..

ولقد عجز آلاف الأدباء والحكماء عن إيجاد قاعدة واحدة « يمكن اتباعها للوقوع في الحب ، لهذا قالوا عنه إنه أعمى -

وهم غخطون ..

الحب ليس أعمى ، ولكنه أكثر إبصاراً من العيون .. فالحب قد يرى في محبوبه شيئاً لا يراه الآخرون ، تماماً كما ترى أجهزة خاصة ، الأشعة تحت الحمراء ، أو فوق البنفسجية ، في حين تعجز العين العادية عن رؤيتهما ..

- هل تناولت طعام غدائك يا بني ؟ .. لقد أعددت صنفاً جديداً من الطعام سيروق لك بإذن الله . ونبهتني عبارتها إلى مضي الوقت « وشعرت بالحجل ، لأنني أهملت عملي من الثامنة والنصف صباحاً ، وإلى الثانية ظهراً دون أن أشعر ، فأسرعت أعتذر في لهجة مهذبة ، وصافحت الأم في ود ، وحينما صافحت (تمرين) ارتجفت أصابعي وأصابعها ، وسرت في أعماق موجة دافئة عجيبة ، فهمست في لطفة :

- سنواصل حديثنا فيما بعد .

ابتسمت في خجل ، وإن لم يخل صوتها من الترحاب ، وهي تنغم :
- بالطبع .

وتركتها وأنا أخلق في سماء السعادة ، وأسبح في بحار الهناءة ..

لقد ربطت القدر بيننا حقاً ..

■ ■ ■

وهناك لغة للقلب ، تختلف تماماً عن لغة العقل .
وهذه اللغة هي الوحيدة المسموعة بين المحبين ، ولها
القدرة على تغيير ملامحهما ، فالجميلة ترى الرجل الذي
أحبته أكثر أهل الأرض وسامة ، في حين يجمع العالم
كله على أنه شديد اللعامة ، والعكس صحيح . فالرجل قد
يفرق حتى أذنيه في حب فتاة ، ويصفها بأنها أجمل من
وقعت عليها عيناه ، في حين يضرب الآخرون كفاً
بكف ، ويتساءلون في دهشة عما يجده فيها من ملامح
الجمال ، وينسون أن جمال الوجه هو أوهى أنواع الجمال ،
وأن الزمن وحسده يهزمه ، ويُذبله . ويقضى عليه
بسرعة ، وأن أقوى جمال هو جمال الروح والنفس ..
المهم هو أنني لست أدري كيف حدث هذا ..

كيف وقع كل منا في حب الآخر ..

فبعد أسبوع واحد من لقائنا الأول ، وبعد لقاءات
عديدة ، ومناقشات كثيرة ، كشف قلبي أنه غارق
حتى أذنيه في حب (نسرين) ..

لقد ظلت أفكر طيلة ذلك الأسبوع في طبيعة
مشاعري نحوها ..

أهو انبهار بجمالها ؟ ..

أهو إعجاب برقتها ؟ ..

وزددت طويلاً قبل أن أسأل نفسي :

— أهو الحب ؟

ولكن هذه الحيرة تلاشت تماماً . ونحن نسير
بمحاذاة الأمواج ، بعد أسبوع واحد من لقائنا الأول ..
كانت الشمس قد شارفت الغروب ، هذه المرة
أيضاً ، وكنا نسير في ببطء ، وتبادل حديثاً هامساً ، حينما
توقفت وأشارت إلى قرص الشمس ، وأنا ابتسم قائلاً :

— هل تعلمين يَمّ يذكّرني غروب الشمس ؟

— يَمّ ؟

— بأروع مشهد شاهدته في حياتي كلها .

— وما هو ؟

— ملاك من الجنة يتهادى على شاطئ البحر ،

ويمتزج بقرص الشمس لحظة الغروب .

— أنت خيالي .

— بل .. كان ذلك حقيقة .

— متى ؟

— حينما رأيته لأول مرة .

تخضبت وجهها بحمرة الخجل ، وأسبلت أهدابها الطويلة في حياء ، وإن رأيت ابتسامتها ، التي تشف عن فرحها ، ترسم فوق شفيتها الجميلتين في وضوح ..

وفي هدوء ، ودون أن تتبادل كلمة واحدة ، تسأل كني إلى كنهها ، واحتضنه في حب وحنان . واستكان الكف الرقيق في راحتي ، وأعلن باستسلامه ، وارتجافته اللطيفة موافقة صاحبه ومبادلته لإي ذلك الحب ..

وسرنا في صمت وهدوء . وكفى يعانق كنهها ، يخطو فوق الأمواج الهادئة ، ونسبح مع قرص الشمس في حب وسعادة ، حتى وصلنا إلى فيلتها ، وهناك ظللنا نقف وجهاً بوجه طويلاً ، قبل أن تغفل كنهها

من راحتي في رقة ، ووجهها يزداد تخضباً وحياء .
حتى غمغمت أنا :

— إلى الغد .

تمتمت في صوت رقيق مختلج :

— إلى الغد .

وأسرعت تفترج درجات سلم الشرفة في حياء ، حتى اخضت داخل الفيلا ، وأسرعت أنا عائداً إلى مسكني ، وأنا أكاد أطير فرحاً ، وأعماقي تردد في

سعادة هتاف حب :

أحبها .. أحبها .. أحبها ..

ملأت الكلمة مشاعري ، وفاضت بها أعماقي ، حتى وصلت إلى المسكن الذي أعدته لي الشركة . فاستلقيت على فراشي بملابسي ، وأنخلت أتأمل سقف الحجر ، وقد خيل إلي أنه قد تحول إلى بستان وارف ، تراقص فيه فراشات السعادة ، وهي تعانق زهور الحب .. لست أدري كم استغرقني تلك الخيالات ، ولكنني أفقت منها على رنين جرس الباب ، فقلبت شفتي في

ضيق ، وأنا ألعن ذلك الزائر ، الذى انتزعنى من بستان
عشقى وخيالى ، وفكرت فى تجاهله ، لولا إلحاح
طرقاته ، ورنين الجرس المتواصل ، الذى اضطرّنى إلى
فتح الباب فى حنى ، ووقفت أحدى فى الزائر بغضب ،
فقد كان أحد عمال الشركة ، وسأله فى حدة :
- ماذا هناك ؟

ارتبك العامل وهو يقول ، ماداً يده بورقة مطوية :
- معذرة لإيقاظى إياك من نومك يا سيّدى ،
ولكن هذه البرقية وصلت على التو ، وهى لا تحمل
التأجيل .

التقطت البرقية من يده ، وفهّمتها فى عجلة ،
وعقدت حاجبى فى ضيق ، وأنا أقرأ كلماتها ..
كانت البرقية تؤكد ضرورة تواجدى فى القاهرة
فى الساعة والنصف من صباح الغد ، للضرورة القصوى ،
دون أن توضّح نوع هذه الضرورة ، أو خطورتها ..
ولم يكن أمامى إلا الإذعان ..

وأقلقنى الأمر جداً ، فقد كان الوقت متأخراً ،

حتى أنه من العسير لإبلاغ (نسرين) بأمر هذا السفر
المفاجئ ، الذى سيفضّرنى لمغادرة الإسكندرية ، قبل
أن تستيقظ هى من نومها ..

فكّرت فى ترك رسالة ، ولكن الفكرة لم ترق لى ،
فهى تصلح فقط إذا ما كنا خطيبين ، خاصة وأن والدتها
قد تسلم الرسالة ، وقد يدفعها ما تعنيه إلى منع (نسرين)
من مقابلتى ..

وبعد تردد طويل ، وحيرة أطول ، قرّرت السفر
والعودة فى اليوم نفسه ، مهما تكبّدت من مشاق ،
وبعثت هذا القرار فى نفسى الارتياح ..

وسافرت فجر اليوم التالى ، ولم أكد أصل إلى
القاهرة حتى واجهتنى مفاجأة جديدة ..

لقد كان سبب استدعائى يتعلق بوصول وفد أجنبى
من خبراء المعار ، وكان على مرافقتهم طيلة ثلاثة أيام ،
حتى يعودون إلى بلدتهم ..

وانتزع القدر من عمر حبتنا ثلاثة أيام ، وصورة
(نسرين) برقتها وابتسامتها اللحجلة الفرحة تملأ ذهنى

طوال الوقت ، ويحقق لها قلبي ، وأنا أنتظر عودتي إلى الإسكندرية ، وإلى حبي ..

وفي هذه الأيام الثلاثة ، التي سُحِرْتُ فيها رؤية (نسرين) ، فاتحت أُمِّي في أمر خطبتي لها ، ولقد نهرتني أُمِّي بعشرات الأسئلة كعادتها ، وبدلت لي أشبه بوكيل نيابة نشط ، وهي تحاصرني بأسئلتها واستجواباتها الدقيقة ، ولكنها لم تلبث أن تخلت عن دور وكيل النيابة ، وعادت إلى طبيعتها كأم ، وطبعت قبلة حانية على وجهي ، وهي تقول في حنان وفرح :

— بارك الله (سبحانه وتعالى) فيما اخترت يا ولدي .

ولا يمكنك أن تتصور فرحتي حينما وافقت أُمِّي .. لقد كان ذلك بمثابة اعتراف شرعي بحبي ، ودفعه إلى الأمام لمواطني ..

وعدت إلى الإسكندرية — بعد ثلاثة أيام — وأنا مغمم بالأمل والسعادة ، وكنت أتعجل وصول القطار إلى هناك ، حتى أنعم برؤية (نسرين) ، بعد أن فرقتنا

ظروف على ثلاثة أيام كاملة ، ومن المضحك أنني كنت ، طيلة جلوسى داخل القطار ، أميل بجسدى إلى الأمام . وأتثبت بمقعدي في قوة ، وكأني أحت القطار على الإسراع ، واختصار الوقت ..

ولم أكد أشم رائحة الهواء المشبع باليود ، والذي يميز جو الإسكندرية ، حتى عاد قلبي يحقق في قوة ، وعادت أعماقي تتراقص في سعادة ..

وكنت كطير حبيس . أُطْلِقْتُ له الحرية ، وأنا أطلا رمال العجى بأقلامى ، وأعدو فوقها إلى فيسلا (نسرين) ..

وعلى بعد خطوات من الفيلا توقفت ، وأخذ قلبي يختلج ، ويختلج ، ويختلج ..

لقد كانت تقف هناك .. في شرفة الفيلا .. ترتلى نفس الثوب البنفسجى . الذى رأيتها فيه لأول مرة ، وشعرها الأسود الناعم يتطاير حول رأسها في رقة وجمال .. واقتربت منها في لهفة ، وهمست وأنا أعلق بحاجز الشرفة :

أين العيون المفعمة بالحنان والركة ؟ ..

لقد اختفى كل هذا ، وأصبحت هناك عيون
ساخرة ، وابتهامة ماكرة ..
وفجأة برق بارق في ذهني ، وخيل إلى أنني
فهمت سبب هذا التبدل ..

إنها تعاقبني ..

تعاقبني ، لأنني اختفيت عنها ثلاثة أيام ، دون أن
أخبرها ، ودون أن أنلرها ..
لقد ظنت أنني أعبت بها ..
لقد أساءت فهمي ..

وقرّ ذلك الخاطر في قلبي ، وويل عقلي إلى تصديقه ،
فعلت أقرب منها ، وأقول فيما يشبه الاعتذار :
- (نسرين) .. صدقيني .. لقد اضطررت
للسفر فجأة ، ولم أجد الوقت الكافي لأخبرك ، صدقيني
يا حبيبتي .

مرة أخرى تألق ذلك البريق الساخر في عينيها ، وهي
تتفرّس في ملامحي في اهتمام وتغمغم في لهجة نهكية عجيبة :

- هكذا ؟ !

هتفت في ألم :

- هذا ما حدث .. أقسم لك .
ظلت تتأملني لحظة ، وكأنها تراني لأول مرة ، ثم
ابتسمت .

ولدهشتي كانت ابتسامتها جريئة ، أقرب إلى
الوقاحة ، على نحو يخالف تماماً تلك الابتسامة الخجل ،
التي تعودتها ، وإن بدا صوتها هادئاً ، وهي تقول :
- هل تعلم أنك وسيم ؟

أدهشتني عبارتها ، ولكنها أسعدتني ، فقد كانت
أول مرة تمتدحني فيها (نسرين) ، ولقد وأد هذا
دهشتي بسرعة ، وأيقظ حبي وعواظي ، فددت يدي
إليها في حنان ، ولم تردد هي ، بل قبضت على كفي في
قوة ، وكأنها تخشى أن أفر منها ، وقالت في جراءة :
- انظر ، سنخرج لنجول معاً .

تصاعدت معادتي ، وهي تهبط في درجات سلم
الشفرة ، وتعود لتمسك كفي ، وتسير إلى جوارى ، وأنا

أتجه بها إلى الشاطئ ، حتى نشهد معاً غروب الشمس ،
وتبادل الحديث كعادتنا ، ولم نكد نلمس الأمواج
بأقدامنا حتى سألتني في اهتمام :

— ما اسمك ؟ .. أغنى اسمك بالكامل .

ضحكت وأنا أقول :

— لقد أخبرتك به من قبل يا (نسرين) .

ابتسمت في خبث ، وهي تقول :

— لقد نسيت .

ضابقتني عبارتها ، ولكنني أخبرتها باسمي مرة ثانية ،

فابتسمت وهي تقول :

— اسمك ظريف يا (أكرم) ، ماذا تعمل بالضبط ؟

هتفت بها في حلق :

— ماذا أصابك يا (نسرين) ؟ .. أنت تعلمين

أنني المهندس المسئول عن القطارات الجديدة ، المجاورة

لغاباتكم ، ولقد أخبرتك هذا منذ أول لقاء لنا .

ضحكت في استهتار ، وهي تقول :

— لماذا يحزنك هذا ؟ .. لقد نسيت .

توقفت عن السير بغتة ، وعقدت حاجبي في ضيق .
وأنا أقول :

— (نسرين) .. كُفّني عن أسلوبك هذا .

سألتني في لهجة أقرب إلى السخرية :

— أي أسلوب ؟

هتفت في مخط :

— إنك تصرّين على السخرية مني ، ومحاولة

تحزيري ، انتقاماً لكرامتك الجريحة ، حينما تصوّرت

أنني فررت منك ، ولكنني أقسم أن هذا كان على الرغم

منى ، ولن أحتمل أسلوب العقاب هذا مرة أخرى .

عادت تنفر مني في ملامحي مرة أخرى ، وهيونها

تلتصع في عبث ، ثم ضحكت ، ورثت على وجهي في

نعومة ، وهي تقول :

— حسناً .. لا داعي للغضب ، لقد كنت أمزح .

قلت في حدة :

— إنني أكره هذا النوع من المزاح .

أطلقت ضحكة عابثة عجيبة ، قبل أن تقول في
لهجة من محلات طفلا صغيراً :

— لا بأس .. لن أمزح معك مرة أخرى .

وعادت تحتضن كنى بكفها ، وعملت أسير إلى
جوارها على شاطئ البحر ، وكلانا صامت شارد ..

هي عيونها تتطلع إلى الأفق ، وأنا أتطلع إلى قدميها .

لست أدري لم أثارت طريقة سيرها اهتمامي إلى
هذا الحد ، في تلك الزهرة بالذات ..

لم تكن تسير بالأسلوب الرقيق ، الذي اعتلته في
نزهاتنا ..

لم تكن نحنو على الأمواج ، بل كانت تضربها
بقدميها في قوة ، فتحطمها ، وتثر رذاذها على قدميها
وقدمي ..

وشعرت مرة أخرى أنها تختلف ..

وتوقفت ، وأوقفتها ، وأشارت إلى قرص الشمس

الفارب ، وقلت في همس :

— هل ترين الروعة ؟

مطت شفتيها ، وهي تقول في استهتار :

— أية روعة ؟

أجبتها في لهجة حاملة :

— مشهد الغروب .

كنت أتوقع منها أن تشاركني جمال المشهد وروعته ،

إلا أنني فوجئت بها تضحك في بخربة ، وتقول :

— الغروب ؟ .. إني أشاهده يوميا ، حتى أنه

أصابني بالملل .

حدقت في وجهها بدهشة عارمة وهتفت في حيرة :

— ولكن يا (نسرين) ..

قاطعتني في استهتار :

— دعك من .. من مشهد الغروب هذا ، ما رأيك

أن نسهر الليلة في الكازينو ، ونرقص حتى منتصف الليل .

لم أصدق ما تسمعه أذني ..

تصوّرت أنني واهم ، وهتفت في استنكار :

— رقص ؟ .. ماذا دهاك ؟ .. إني لا أحب

الرقص ، ولا أجيله .

هتفت في مرح :

— ستجبه حينما نرقص معاً ، وسأعلمك كيف
تجيد .

قلت في مزيج من الصرامة والحنق :

— كلاً يا (نسرين) .. كلاً .

ضحكت في مخزية ، ثم عادت ترثت على

وجتي ، ونقول :

— ألا يحب هذا المزاج أيضاً ؟

هتفت في مخط :

— إتنى أكرمه .

ثم أمسكت ذراعها في حدة ، وقلت :

— ماذا دهاك هذه المرة يا (نسرين) ؟ .. إنك

تبدلين مختلفة .

سألتني في مرح :

— أفضل أم أسوأ ؟

قلت في حدة :

— بل أسوأ .. لقد أحبيت (نسرين) برقتها .

وحنانها ، وخجلها ، فأنا رصين بطيقي ، وأكره كل
أنواع الخلاعة والعبث .

حدقت في وجهي بغضب ، ثم أطرقت برأسها ،
وبدا وكأنها تفكر في عمق ، قبل أن تغتم ، دون أن
ترفع عينيها إلى وجهي :

— لقد ظننت أنك قد تركتني من أجل ذلك ،
فأردت أن أبدل شخصيتي من أجلك .

احتضنت كفها الرقيقة في حنان ، وقلت في حب :

— خطأ يا حبيبي .. الإنسان لا يبدل شخصيته
من أجل من يحب ، لأنه بملك يخلعه ، ويضع نفسه
في إطار مخالف لطبيعته .

نمغمت في صوت ياك :

— هلا ساعحتي ؟

هتفت في حرارة :

— إتنى أحبك يا (نسرين) ، والحب سريع الغفران .

ثم اقتربت منها ، وهمست في حب :

— لقد أخبرت والدتي بشأننا ، ولقد وافقت .

رفعت إلى عينيها في تساؤل ، وهي تغغم :

— وافقت على ماذا ؟

ابتسمت « وأنا أهنس في سعادة :

— على زواجنا .

أدهشني ذلك الانفعال ، الذي ارتسم في عينيها ،

إثر إجابتي ..

لقد كان أقرب إلى الغضب منه إلى الفرح ..

وظل كل منا يخلق في عيني الآخر لحظة ، قبل أن

ترسم على شفثيها ابتسامة عصبية ، وتقول في حدة :

— لا تتعجل .. لم يحن الوقت بعد .

هضت في حنان :

— ولماذا ننتظر ؟ .. إني أعمل في وظيفة مرموقة ،

وبدخل ممتاز ، وأملك شقة أنيقة في حي راق بالقاهرة ..

قاطعتني في حدة :

— لم يحن الوقت بعد .

سألها في دهشة وألم :

— لماذا ؟

أجابتنى في عصبية :

— لدى أسبابي .

أشحت بوجهي عنها في ضيق ، فعادت تخنطن

كفي ، وهي تقول :

— أرجوك يا (أكرم) ، لا تتحدث معي في هذا

الأمر مرة ثانية .

سألها في حنق :

— هل ترفضين الزواج مني ؟

هضت في حرارة :

— بل إني أتمناه .

ثم عادت تستطرد في تومئيل :

— ولكن ليس الآن ، سأخبرك حينما أكون

مستعدة .. أرجوك .

رَبَّتْ على كفها في حنان ، وأنا أعغم :

— حسناً يا حبيبي .. مهانظر .. مهانظر .. مهانظر ..

آخر لحظة في عمري .



• - حيرة قلب • •

رقدت في فراشي طويلاً ، دون أن يتسلل النوم
إلى جفني هذه الليلة ..
كنت حائراً ، متوتراً ، مرتبكاً ..

كان عقلي يحاول عبثاً البحث عن تفسير لتغير
(نسرين) العجيب ..

كانت عاطفتي المشبوبة وهي إلى جوارى قد
تراجعت وأنا وحدي ، وأفسحت لعقلي الطريق ليفكر
فيما لي ذلك التعليل ، الذي أخبرتني به عن تبلها واحياً
متخاذلاً ، فعلى الرغم من رغبتني في تصديقه ، وجدت
نفسى أسنكره بشدة ..

فقد كان هناك شيء أعمق من الرغبة في إرضائي ،
يختفي خلف ذلك التبدل ..

كان هناك شيء في أعماقها هي ..
وأنخذت أنساءل في حيرة ، هل خدعتني منذ
البداية برقتها ؟ ..

هل كان حنانها وخجلها مجرد تمثيلية وهمية ؟ ..

ووجدت تساؤلاتي نفس الإجابة ، فمن المستحيل
أن أخطئ أعماقها ..

كان الأمر محيراً للغاية ، وكان هناك اثنين من
(نسرين) في جسد واحد ، إحداهما رقيقة حانية ،
والأخرى عابثة قاسية ..

إحداهما تحبني ، والأخرى تسخر مني ..

وأقلقتني حيرتي ، وأرقتني ، فنهضت من فراشي ،
ونظرت إلى ساعة يدي ، فوجدتها تشير إلى الحادية عشرة
والنصف مساءً ، فعدت إلى ثيابي ارتديها ، وغادرت
مسكني أجول على غير هدى ، عسى أن يذهب نسيم
الليل بحيرتي وقلقي ، وقادتني قلمي إلى كازينو أنيق ،
يموج بالأضواء والصخب ، فوقفت أتأمله لحظة ، وقد
استعاد عقلي حديث (نسرين) العجيب عن الرقص
والعبث ، ثم خطوت إلى داخله في تردد ..

كانت هذه هي المرة الأولى ، التي تطأ فيها قلمي
مثل هذه المستديرات ، إذ كانت دراستي ، وعلمي فيها
بعد ، ينتزعان مني كل الوقت ، حتى أنني لم أله أو

أعبت في مبدأ شبابي أبداً ، وحينما وصلت إلى الثلاثين ،
فقدت الرغبة في مثل هذا النوع من اللهو ، ولكنني في
هذه الليلة أردت أن أجرب ..
أردت أن أخوض تجربة جديدة ، عليها تطفئ
توترى ..

ولكن العكس هو الذي حدث ..
لم أكد أخطو داخل الكازينو ، حتى وصل توترى
إلى ذروته « وتفجر غضب هائل في أعماقي ، وشعرت
بالنماء تغلي وتغور في عروقي ..
فهناك ، على حلبة الرقص ، رأيتها ..
رأيت (نسرين) ..

كانت تراقص شاباً رقيقاً ، يطيل شعر رأسه على
نحو جعله أشبه بمطربي أوربا « ويرتدى قميصاً زاهي
الألوان ، ومروالا شديد الضيق ، وتتدل من عنقه
سلسلة ذهبية ضخمة ، تؤكد ثراءه ، وفساد ذوقه ..
وتسمرت في مكاني كالمندهول ، وانتابتي رغبة
قوية في البكاء ، ولكنني ظللت صامتاً « جامداً ،

كتمثال من الحجر « في حين كانت (نسرين) تضحك
في عبث ، وترقص في رشاقة وانهماك ، حتى أنها لم
تشر بوجودي ، إلا بعد وقت طويل ..
كانت تدير رأسها في حركات قوية ، مصاحبة
للموسيقى ، وشعرها الأسود الناعم يتقاذف حول رأسها
كالإعصار ، حينما وقعت عينها على عيني ..
والغريب أن ذلك لم يدهشها ، ولم يزعجها ..
لقد ابتسمت في مرح ، ولوحت لي بكفها ، ثم
عادت تواصل رقصتها المجنونة ..

وصرخت أعماقي في ألم وغضب ..
وغلت دمائي ، وجرحت مشاعري ، فاستلرت
في حدة ، وانطلقت خارج المكان ، وتركت الدموعى
العنان ، وأنا أسرع الخطا إلى الشاطئ ..
وهناك فاضت دموعى ، حتى بللت وجهي كله ،
وأنا أجلس على الرمال ، منتظماً في شرود إلى البحر ،
الذى غلفه الظلام ، وأخفاه عن عيني ، إلا من زبد
الموج ، الذى يتكسر في هدوء ، عند أطراف جذائي ..

كيف فعلت بي ذلك ؟ ..

كيف عاملتني بهذا الاستهتار ، وتلك اللامبالاة ؟ .

كيف خدعني تظاهرها بالرقه ؟ ..

وأخذت في تلك الليلة أسترجع الموقف كله خطوة

خطوة ، وكلما أوغلت في التفكير ، ازداد عجبى ،

وازدادت حيرتى ، حتى قررت ، في لحظة حنى ،

إنهاء هذا الموقف كله ، والانغماس فى عمل ، وترك

هذه العلاقة المشوبة بالغموض ، والشك ، والحيرة ..

والمعجب أن هذا القرار قد بعث الراحة فى قلبى ،

حتى أنني نمت فى عمق هذه الليلة ، واستيقظت وأنا

أشعر بنشاط عجيب ، فارتديت ثيابى فى سبعة ،

وأصرعت إلى موقع العمل فى حماس ..

وتعمدت تجاهل (نسرين) والقبلا تماماً ، والاهتمام

فى العمل إلى أقصى حد ، وكان لهذا نتائج الإيجابية

بالنسبة للعمل ، فسرعان ما بدأت أعمدة القبلات

الخرسانية ترتفع ، قبل الموعد المحدود لذلك بأسبوع

كامل ، وأرسلت الشركة مندوبها ، ليلقنى شكر

المستولين هناك ، وإعجابهم ، وعودهم بالترقيات

والمكافآت ، وزاد هذا من حماسى ، ومن انغماسى فى

العمل ، حتى كان ذلك اليوم ..

كنت منهمكاً فى مراجعة بعض تصميمات الترخيد ،

حينما دخل أحد العمال إلى مكتبى ، وهو يتنسم ابتسامة لم

أفهم مغزاها ، ويقول :

— هناك ضيف يطلب رؤيتك يا باشمهندس .

سأله وأنا أعيد عيني إلى التصميمات :

— أهو من مكتب القاهرة ؟

أجابنى فى لهجة لحت فيها رنة الخبث :

— بل هو ضيف خاص .

قلت فى حدة دون أن أرفع عيني عن الأوراق :

— لا زيارات خاصة فى موعد العمل .

وفجأة ارتجفت الأوراق بين يدي ، وجف لعابى ،

وتوقفت السماء فى عروقى ، حينما سمعت صوتاً بالسخ

الرقه ، يقول :

— إنه أنا يا (أكرم) .

رفعت عيني ، وتطلعت إلى صاحبة الصوت في
دهشة ..

لقد كانت (نسرين) ..

(نسرين) الأولى بابنسامتها الرقيقة الحانية ، ووجهها
المتورّد بحمرة الخجل ..

(نسرين) يخالها ونعومتها وعلوبتها ..

وأفلتت الأوراق من يدي ، ونبض قلبي في عنف ،
وأنا أنطلع إلى وجهها الجميل ، الذي حطم مرآة كل
الغضب ، والحنق في أعماق ..

وانتزعتني العامل من فيض مشاعري ، وهو يقول
في تخالّث ريني :

— هل أذهب ؟

أجبت في هدوء وشروء :

— نعم .

تصرّج وجهه (نسرين) في خجل ، حينما ابتسم
العامل ابتسامة خبيثة ، قبل أن يغادر الحجرة ، ويغلق
بابها خلفه في إحكام ..

***** ٥٠ *****

ووقف كلانا يتأمل الآخر لحظة ، ثم اندفعنا نحو
بعضنا البعض في آن واحد ..

احتضنت كفها في حب ، واحتضنت كفي في لفة ..
وامتزجت عيوننا بعضها ببعض في حنان ، قبل أن
تهمس (نسرين) بصوتها الرقيق الخالم ، المشوب
بالخجل والحياء :

— كيف حالك ؟

ابتسمت ، وأنا أقودها إلى مقعد يجاور مكتبي
الصغير ، وأهمس في حب :

— كيف حالك أنت ؟

أطرقت بوجهها في حياء ، وهي تبسم في خجل
وسعادة ، وتهمس :

— لقد أوحشتني .

همست في حب :

— وأنت أيضاً .

ساد الصمت بيتنا طويلاً ، ثم غمغمت هي :

— لاني لم أرك منذ فترة طويلة .

***** ٥١ *****

رَبَّتْ عَلَى كَفِّهَا ، وَكَأَنِّي أَرْجُوها أَلَّا تَتَحَدَّثَ فِي
هَذَا الْأَمْرِ ، فَقَدْ كُنْتُ أَرْغَبُ فِي نِسْيَانِهِ ، وَنَسْيَانِ
مَشْهَدِهَا ، وَهِيَ تَر_اقِصُ ذَلِكَ الشَّابَّ الْخَفِيفَ ..

وَكُنْتُ أَشْعُرُ أَنَّهَا صَادِقَةٌ فِي رَقَّتِهَا وَلَهْفَتِهَا هَذِهِ الْمَرَّةَ
وَكَانَ هَذَا يَكْفِينِي ..

وَكَمْ شَعُرْتُ لَحْظَتَهَا بِرَغْبَتِي فِي تَكَرُّارِ عَرْضِ زَوَاجِي
مِنْهَا ، وَلَكِنِّي احْتَرَمْتُ رَغْبَتَهَا فِي عَدَمِ الْحَدِيثِ عَنْ
هَذَا الْأَمْرِ ، فَلَزِمْتُ الصَّمْتَ لَحْظَةً ، ثُمَّ قُلْتُ مَبْتَسِماً :
- أَمَا زِلْتَ تَقْرَأِينَ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ الْعَاطِفِيَّةَ ■

ضَحَكْتُ فِي خَجَلٍ ، وَهِيَ تَقُولُ :

- نَعَمْ .

ثُمَّ أَرَدَفْتُ فِي رَقَّةٍ :

- وَأَنْتِ ۱۱ أَمَا زِلْتَ تَشَاهِدُ غُرُوبَ الشَّمْسِ ؟

ضَمَيْقَتْنِي عِبَارَتَهَا لَحْظَةً ، حِينَمَا أَعَادَتْ إِلَى ذَهْنِي
مُخْرِيتَهَا السَّابِقَةَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي أَجَبْتُ فِي هَدُوءٍ :

- نَعَمْ .. وَمَا زِلْتُ أُعَشِّقُهُ .

عَادَ الصَّمْتُ بَلَقْنَا لَحْظَةً أُخْرَى ، قَبْلَ أَنْ تَخْفَضَ
(نَسْرِينَ) عَيْنِيهَا ، وَتَقُولَ فِي خَجَلٍ :

- لَقَدْ أَوْحَشَتْنِي رُؤْيَا الْغُرُوبِ .

وَتَرَدَّدْتُ لَحْظَةً ، قَبْلَ أَنْ تَرُدِفَ فِي هَمْسٍ :

- بِصَحْبَتِكَ .

حَدَّقْتُ فِيهَا لَحْظَةً بِدَهْشَةٍ ■ ثُمَّ نَحَمَسْتُ :

- رُبَّمَا نَشَاهَدُهُ مَعاً .

سَأَلْتَنِي فِي صَوْتِ هَامْسٍ خَجَلٍ :

- مَنَى ۱؟

ابْتَسَمْتُ فِي سَعَادَةٍ ، وَأَنَا أَقُولُ فِي حُبٍّ :

- الْيَوْمَ يَا (نَسْرِينَ) .

وَالْتَقَيْنَا ..

وَكَانَ لِقَاءً رَائِعاً ..

امْتَزَجَتْ قُلُوبُنَا ، وَتَعَانَقَتْ أَكْفُنَا فِي حُبٍّ وَحْنَانٍ ،

وَقَطَعْنَا الشَّاطِئَ فِي سَيْرِ مَنَهِادِ حَالِمٍ ، وَكُنَّا نَتَطَّلَعُ إِلَى

غُرُوبِ الشَّمْسِ ، حِينَمَا هَمَسْتُ فِي أَذْنِهَا :

- هَلْ يَعْجَبُكَ الْمَشْهَدُ ؟

٦ - شاطئ الحب ..

وتكررت لقاءاتى مع (نسرين) ، وفى كل لقاء
كانت حيرتى تتراجع ، وكانت ذاكرتى تمحو من نفسها
تلك الأيام ، التى أثارت فيها (نسرين) حيرتى ..
كانت طوال تلك الأيام الخمسة مثالا للرقية
والحنان ، والعلوية والجمال ، حتى أننى لم أعد أذكر
(نسرين) الأخرى ، التى تجاهلتنى فى المرقص ،
ومحرت من مشاعرى وعواطفى ..

عدت أصبح فى بحر الحب مع (نسرين) قلبى ،
التي ملكت مشاعرى ، وأيقظت عواطفى وأحاسيسى .
لست أدري ما يفعله بنا الحب ..

إنه يجعلنا أرق وأحن وأقلر على الغفران والنسيان
والعطاء ..

إنه تاج المشاعر البشرية ، وذروة الأحاسيس
الراقية ، التى ميز بها الله (سبحانه وتعالى) البشر ،
من دون باقى المخلوقات -

إنه الحياة ..

أجابتنى فى صوت حالم ، يقطر بالقشوة :
- إنه يبهرنى .

عقدت حاجبى ، وأنا أنغم :

- على الرغم من رؤيتك له يومياً ؟

ابتسمت فى رقة ، وهى تقول :

- الجمال لا يفقد روعته أبداً ، مهما تكررت

رؤيتنا له ، إننى لا أمل مشهد الغروب حتى ولو رأيت
عشر مرات فى اليوم الواحد .

أثارت عبارتها دهشتى وحيرتى مرة أخرى ، حتى
أننى عدت أتأمل خطواتها ، ونحن فى طريق هودتنا إلى
فيلتها ، وتطلعت فى حيرة إلى تلك الخطوات الرقيقة ،
التي تمس الأمواج فى حنان ورفق ، ونعومة رائحة ،
وراحت أقارن بينها وبين خطواتها العنيفة فى نزهتنا
السابقة ، وازدادت حيرتى ..

• • •

لقد أصبحت أعشق حياتي ، وعمل في المشروع
الجديد ..

أصبحت أكثر حماساً ، وأكثر رغبة في النجاح
والتموق ..

ولقد شاركتني (نسرين) حماسي ■ بل كانت أكثر
حماساً مني ، بعد أن علمت أن نجاحي في تنفيذ هذا
المشروع ، سيؤدي إلى ترقية ، وزيادة دخل ..
وفي كل مرة نلتقي ، كنت أقاوم ، في شدة ،
رغبتي في مفاتحتها في أمر زواجنا ، احتراماً لرغبتها في
أن تحدد هي الموعد ..

وأصبح شاطئ العجى بالنسبة لي هو شاطئ
الحب ، والأمل والحياة ، وتفتحت زهور الحب في
بستان قلبي ، وبدأ وكان الحياة قد استقامت لحبي ..
ولكن ...

يا لها من كلمة تلك التي قلب كل شيء رأساً على
عقب !! ونحيل الحب رماداً ، والحياة فناء ، والخضرة
يابساً !!

لقد مضت الأيام الخمسة ، ومضى معها الأمل ،
وعادت الحيرة ..

كنت أجلس في مكنتي ، حينما جاء العامل يقول
في روتينية :

— السيدة تنتظر في الخارج .

تهللت أساريري ، وأنا أشير إليه أن يسمع لها
بالدخول ، وتركت أوراق ، واتسعت ابتسامتي ،
وأنا أنظر قلوبها ، ولكن تلك الابتسامة لم تلبث أن
تجمدت على شفقي ■ ثم تلاشت ، وحلت محلها الدهشة ،
حينما خطت (نسرين) إلى مكنتي في رعوة ، واستندت
بكتفها إلى الباب ، وتطلعت إلى بتلك النظرة الساخرة
المقيبة ، وهي تقول في عتب :

— كيف حالك ؟

مضت لحظات طوال ، وأنا أناملها بمزيج من الدهشة
والإحباط ، قبل أن أعظم :
— بخير حال .

أطلقت ضحكة لاهية ■ أطلقت ذكرياتي كلها

من عقالمها ، وأيقظت حيرتي ، وحتى ، ومخطي ،
ومقتي لأسلوبها ، فهتفت :

— ماذا بك ؟ .. هل جنت ؟

عادت تضحك مرة أخرى ، وتعلقت عيناها
بعمق في جراحة ، ثم انجذبت إلي مكبي ، وجلست فوقه ،
ومدت يدها تربّت بها على وجنتي في نعومة ، وهي
تقول :

— ما زلت كما أنت ، طريفاً ورصيناً .

أبعدت يدها في حيرة ، وقلت في صرامة :

— (نسرين) .. إني لا أحب أسلوبك هذا .

لقد كنت أفضل أمس .

ظهر الحلق في قسماها لحظة ، ثم لوحت بلراعيها ،
وهتفت في مخط :

— أيها الغبي .. إنك تضع عمرك ، بتلك الرصانة

السخيفة ، لم لاتعيش حياتك على النحو الذي يروق لك .

قلت في حدة :

— كالرقص مثلاً .

أطلقت ضحكة أثارت أعصابي ، وهي تقول :

— أما زلت تذكر ذلك اليوم ؟

شعرت بالألم ، وأنا أشيح بوجهي ، قائلاً :

— كنت أنساه ، لولا عودتك لذلك الأسلوب

المقبت .

احتقن وجهها في مخط ، وخطتها مستفجرة غاضبة ،

إلا أن ملامحها لم تلبث أن استكانت بسرعة ، وهي

تسألني في اهتمام :

— هل تحب أسلوبى الآخر ؟

هتفت :

— بل أعشقه ، فأنا أهوى الرقة والحنان والشاعرية .

أطرقت برأسها أرضاً ، وبدت شديدة العصبية ،

وهي تهتمهم بكلمات لم أفهمها ، ثم قالت في توتر :

— أعطنى سيجارة .

تعلقت في وجهها بدهول واستنكار ، ولكنها

عادت تهتف في عصبية :

— أريد سيجارة ، ألا تلخن ؟

هضت في غضب :

— كلاً ، وأنا أكره من يلدخنون .

شعب وجهها ، وامتنع ، وهي تتأمل ملاحي في
حيرة ، ثم خيل إلى أنها قد انهارت فجأة ، حينما ألقت
يجسدها الفضيل فوق مقعدي ، وانفجرت ببيكاء حار .
أسالت دموعها حزن قلبي ولوعته ، فاقتربت منها
في بطاء ، وتحسست شعرها الناعم في حنان ، فا كان
منها إلا أن أسندت رأسها على جسدي ، ونعممت من
وسط دموعها :

— ماذا أفعل لأرضيك ؟

عدت أمسح على شعرها في حب ، وأنا أنعم :

— كوني كما أنت .. (نسرین) الرقيقة ، الودیعة

الحالة .

انهمرت دموعها في غزارة ، وارتجف جسدها ،
وهي تتجعب في قوة ، وأنا أريئت على كنفها في لوعة ،
ودموع قلبي تشاركها نحيبها ، حتى رفعت إلى عينيها ،
وسألتني في لفة :

— (أكرم) .. هل تحبني ؟

هضت من أعماق قلبي :

— بل أنا أعشقتك يا (نسرین) .

ارتجف جسدها ارتجافة قوية ، وحدقت في وجهي
بنظرات غاضبة ، لم أفهمها أبداً ، ثم دفعتني بعيداً عنها
في حنق ، وهبت واقفة ، وهي تقول في حدة :

— ابتعد عني .

هضت بها وقد بلغ ذهولي مبلغه :

— ماذا أصابك يا (نسرین) ؟

صرخت في ثورة ، وهي تخنأ أذنيها بكفيها :

— كفى .. كفى .

ثم اندفعت خارج مكتبي في غضب هائل ،
وتركتني مذهولاً ، أضرب كفاً بكف ..

ماذا أصابها ١٩ ..

ماذا فعلت لتغضب مني ١٩ ..

لقد سألتني إن كنت أحبها فأجبتها بالإيجاب ، فلم

ثارت ؟ ولم هاجت ؟ ..

— تبأ لك وللغروب معاً .

ثم انفلتت من جانبي ، وانطلقت تملو نحر الفيلا ،
وأنا أتابعها ببصري في ذهول ، ثم وقفت أحدق في
الغروب شاردأ ، وأنا أعغم :

— هذا غير طيبي .. غير طيبي .

وجلس على الرمال ، وقد شعرت أن ساق لن
تحملاً ثقل ، وثقل كل الحيرة والعذاب اللذين
أحلهما على أكتافي ..

ماذا حدث ؟ ! ..

ماذا يصيبها ؟ ! ..

ظل هذان السؤالان يلحان على رأسي ، حتى اختفى
قرص الشمس ، وامتد الظلام إلى الشاطئ ، فنهضت ،
وأخذت أسير إلى منزلي مترنحاً مذهولاً ، وهناك ألقيت
جسدي المنهك فوق الفراش ، وعدت ألقى على عتلي
المكثود عشرات الأسئلة ، وهو يعجز عن إجابتها ،
من شدة حيرته وقلقه ..

وبينما كنت مستغرقاً في التفكير ، انطلق رنين

جرس الباب فجأة ، فانتفضت في فراشي ، وقمت إلى
الباب في حنق وتوتر ، ولم أكد أفتحه ، حتى عمرتني
ابتسامة مرحة ، وسمعت صوت صديقنا (مراد) يهتف :

— كيف حالك يا كبير المهندسين ؟ .. لماذا لم
تخبرني أنك هنا في الإسكندرية ؟ .. لقد علمت الأمر
بالمصادفة ، وتعبت كثيراً حتى عرفت ، من أحد
عمالك ، موقع سكنك .

ابتسمت في شحوب ، وأنا أضافحه ، قائلاً :

— مرحباً يا (مراد) .. كيف حالك أنت ؟

حدق (مراد) في وجهي لحظة ، ثم ابتسم ، وهو
يقول في مرح :

— إنك تبدو مكثباً ، وهذا تخصصي .

نغممت في ضيق :

— لست مؤهلاً للمزاح يا (مراد) .

هتف في استنكار :

— أي مزاح ؟ .. هل نسيت أنني طبيب نفسي ؟

وأن معالجة الاكتاب جزء من تخصصي ؟

٧ - وجهان لعملة واحدة . .

استمع إلى (مراد) في صبر واهتمام شديدين ، وهو
ينفث دخان ذلك الغليون الصغير « الذي يصرّ على
تدخينه ، منذ تخرج من كلية الطب ، وانطلقت أنا
أقص عليه كل شيء ، محاولاً - بقدر الإمكان - عدم
إهمال أية تفاصيل « مهما بدت تافهة ، حتى انتهت من
قصتي ، وراى علينا صمت عميق ، لم يقطعه إلا سعال
(مراد) « وهو يشعل غليوناً ، قبل أن يتنسم ، ويقول
في هدوء ورصانة :

- يا لها من قصة ! .. صديقى يا (أكرم) ، أى
طبيب نفسانى - فى العالم كله - يتمنى رؤية هذه الحالة
النادرة .

تضاعف قلنى وتوترى ، وأنا أنعم :

- أية حالة نادرة !

هز رأسه فى وقار « وهو يقول :

- اسكيزوفراىا .

ابتسمت فى صعوبة ، وأنا أنعم :

- كلاً .. لم أنس يا ..

وفجأة بترت عبارتى « وبرقت فى رأسى فكرة
عجيبة ، فتشبثت بلراع (مراد) على نحو مفاجئ «
جعل حاجبيه يرتفعان فى دهشة ، وأنا أهتف فى لهفة :
- نعم يا (مراد) .. أنت الشخص المناسب تماماً .
لقد أرسلك القدر لى فى الوقت المناسب .. اجلس ،
فسأطلب منك تفسيراً لحالة نفسية معقدة .



سألته في دهشة :

— ماذا ؟

ابنسم في جذل ، وكأنا أسعده جهلى بالمصطلح ،
وقال :

— انفصام الشخصية يا صديقى .. أو الشيزوفرانيا
كما يطلق عليها العامة .

ارتجف جسدى في توتر بالغ ، وأنا أقول :

— يا إلهى !! .. انفصام الشخصية ؟

هتف (مراد) في حرارة :

— نعم ، ولكنها حالة شديدة الندرة ، تلك التى
تواجهها أنت ، فتسعون فى المائة من المصابين بانفصام
الشخصية ، يكون مرضهم مجرد صراع داخلى فى
أعماقهم ، يدركونه ، ويسبب لهم القلق ، أما بالنسبة
لحالة (نسرين) ، فهى انفصام كامل ، بحيث يتحول
المريض إلى شخصيتين مختلفتين تماماً ، لكل منهما عالمها
الخاص ، ولا تدرك إحداهما عن الأخرى شيئاً ، على
الرغم من تشاركهما فى جسد واحد .

■ * * * * * ٦٨ * * * * * ■

نعمت فى ذعر :

— يا إلهى !!

ولكنه واصل دون الاهتمام بجزئى :

— وهذه الحالة تصيب دائماً أولئك الذين يعايشون
مجتمعات يخالف تماماً طبيعتهم ، كأن يحيا شخص فاسق
عربيد فى بيئة محافظة متدينة ، وتجره الظروف على
اتباع قواعد وتقاليد تلك البيئة ، وهو فى أعماقه يشعر
بالانتماء إلى بيئة عكسية ، وهنا تنقسم شخصيته ،
ويسيطر عقله الباطن على جسده فى بعض الفترات ،
ويحول إلى شخصية أخرى ، هى بالضبط الشخصية التى
يرغب فى أن يكونها .

عدت أنعم فى خوف ورهبة :

— هل تعنى أن (نسرين) .. ؟

قاطعنى فى حماس :

— يبدو أن (نسرين) هذه تعيش فى بيئة محافظة
للغاية ، ولكن عقلها الباطن يهفو للهو والمرح ، كمعظم
الفتيات فى مثل عمرها ، وصراعها الدائم بين رغبة

■ * * * * * ٦٩ * * * * * ■

عقلها الواعي في الحياة المترنة المحافظة ، ورغبة عقلها
الباطن في حياة اللهو والمرح ، أصابها بانفصام في
الشخصية ، ومن الواضح أنها أصبحت اثنتين في جسد
واحد ، أو وجهين لعملة واحدة ، فتارة تكون (نسرين)
الرفيقة الخنون ، وأخرى (نسرين) المستهتره اللاهية .
وفي مثل هذه الحالات النادرة ، ترفض كل من
الشخصيتين الأخرى تماماً ، بل قد تتخذ الشخصية
الثانية اسماً مختلفاً ، وكأنها تعلن رفضها للشخصية الأخرى
ثم إن كليهما تتعامل مع الأخرى وكأنها كيان منفصل .
هتفت أسأله في ألم :

— وما الحل ؟

مطّ شفتيه ، وقال في هدوء :

— أنت تملك الحل يا (أكرم) .

هتفت في دهشة :

— أنا ؟

أوما برأسه إيجاباً في رزانة ، وقال :

— نعم يا (أكرم) .. أنت .

***** ٧. *****

ثم عاد يردف في اهتمام شديد :

— طبقاً لقصتك ، من الواضح أن الشخصيتين قد
وقعتا في هلاك ، وهذه نقطة بالغة الأهمية ، فلأول مرة
في تاريخ مرض انفصام الشخصية ، تنفق شخصيتا
المريض في هدف واحد « على الرغم من اختلافهما
الجنسي ، وأنت هذا الهدف يا (أكرم) ، ف (نسرين)
تحبك برقتها وتجلها ، والأخرى تحبك بعبثها
واستهتارها ، وبكاء الشخصية الثانية ، وسؤالها لك عما
تفعله ليرضيك يؤكد ذلك ، وأنت وحيدك يمكنك إدماج
الشخصيتين ، ومزجهما في جسدهما المشترك ، فينتهي
المرض .

سأله في لهفة :

— كيف ؟

أجابني في اهتمام :

— لا تواصل محاربتك للشخصية الأخرى ، امنحها
حبك وحنانك بإخلاص وصدق « وتذكر مهما بدت
لك مختلفة ، ومهما أتت من أفعال تكرهها ، أنها نفس

٨ - المحاولة ..

انتظرت قدوم (نسرين) إلى مكنتي ، بفارغ
الصبر في اليوم التالي ، وأنا أفكر في كلمات (مراد) ،
وفي تشخيصه لحالتها النفسية النادرة ، وقد انتابني نحوها
شعور بالشفقة والعطف ، وامتلات نفسي بحماس زائد ،
ورغبة صادقة في معاونتها على الشفاء ، وعلى اجتياز
هذه الأزمة العجيبة ..

ومضى اليوم في ببطء وثقل ، وأنا أحاول عبثاً
الاهتمام بعمل ، دون أن أنجح في نحو صورة (نسرين)
من ذهني أبداً ، وفي النهاية ، وبعد أن تأكدت من أنها
لن تأتي إليّ ، بعد أن انصرف عني غاضبة أمس توجهت
أنا إلى الفيلا ، وانفعالاتي تكاد تصل إلى ذروتها ..

وتوقفت على بعد خطوات من الفيلا ، وخفق
قلبي وأنا أتطلع إلى حبيبتي ، وهي تجلس في شرفة
الفيلا شاحبة ، متهاكة ، وكأنها شاركتني أرق طيلة
الليل ، واقسمت معي همومي ..

(نسرين) التي أحبتها ، وإنما في وجه جديد .
أطرفت برأسي : وأنا أنعم في توتر :
- سأحاول .

رَبَّتْ على كتفي في رفق ، وقال في شفقة :
- تذكر إنها تحتاج إليك يا (أكرم) ، وأنت
الشخص الوحيد في هذا الكون ، القادر على إخراجها
من أزمتها .

هتفت في حرارة ، وقد ملأت عبارته الأخيرة
نفسي بالحماس :
- لن أتخل عنها أبداً يا (مراد) .. صدقتي .. لن
أتخل عنها أبداً .
وقررت في تلك الليلة أن أمزج وجهي العملة معاً ،
مهما كلفني ذلك ..



واقتربت منها في بطاء ، حتى لامست حاجز
الشرقة بأصابعي ، وهمست في صوت مرتجف ،
منعم بالعاطفة والانفعال :

— (نسرين) .. حبيبتى .

أدارت عينها إلى في بطاء ، وهالتي ما رأيت
فيهما من حزن عميق ، واتهام عنيف ، فعدت أهمس
في إشفاق :

— أما زلت غاضبة ؟

أشاحت بوجهها عني ، وهي تقول :

— ابتعد عني يا (أكرم) .

آلمتني عبارتها ، وأثارت مشاعري وكرامتي وهلة ،
قبل أن أتذكر حديث أمس مع (مراد) ، فقلت
في حنان :

— لو أنني أغضبتك فأنا أعفرك يا (نسرين) .. لأنني
أحبك ، ولست أتصور أبداً أن أكون سبباً لأحزانك .
صمتت تماماً ، ولحت خيطاً من الدموع ينسال

على وجهها ، فعدت أقول في حب :

***** ٧٤ *****

— غروب الشمس ينتظرنا يا حبيبتى .
عادت تلتفت إلى ، وتأملني بعينين زادتا في
حيرتي ..

لم تكونا رقيقتين ..

ولا قاسيتين ..

كأننا حزينتين ..

وشعرت بقلبي يبكي ، ويدي ، وبنوح ،

فهتفت بها :

— هيا يا حبيبتى .

نهضت في استسلام ، وهبطت سلم الفيلا في
خطوات ثقيلة ، ثم سارت إلى جوارى في صمت حتى
شاطئ البحر ، وأنا أتابع خطواتها العنيفة ، التي
تثير الرمال ، وتحطم الأمواج ، وهناك وقفنا صامتتين ،
نتطلع إلى قرص الشمس ، ولما طال صمتنا وضعت
يدي على كتفها في رفق ، وهمست :

— أحبك يا (نسرين) .

وجاء رد فعلها عجباً وعنفاً ..

***** ٧٥ *****

لقد استدارت تواجهي في حدة وغضب ،
ودفعت يدي بعيداً عن كفها في عصبية ، وهتفت
في حنق :

– إنك تفسد كل شيء .

سألها في حيرة :

– لماذا يا (نسرين) ؟

صرخت في حدة :

– إنني لست (نسرين) .

تراجعت في دهشة ، وأنا أحدى في وجهها
مستنكراً ، ثم لم ألبث أن قد كرت حديث (مراد) ،
وتفسيره لمرض (نسرين) ، وقوله إن المصاب
بأنفصام الشخصية قد ينكر اسمه الحقيقي ، ويتخذ
اسماً جديداً ، فعدت أبتسم ، وأنعم في حنان :

– حسناً .. ما اسمك إذن ؟

تطلعت إلى في تحدة ، وهي تقول :

– اسمي (نرمين) .

قلت في هدوء :

– هذا لا يعني .

جاء دورها لتطلع إلى في دهشة ، وهي تغمغم :

– ماذا تعني ؟

احتضنت كفها في حنان ، وتطلعت إلى عينيها
العسلين في حب ، وأنا أهمس :

– اسمك لا يعني كثيراً يا حبيبتى ، فليكن
(نسرين) أو (نرمين) .. المهم أنني أحبك أنت .

تهللت أساريرها ، وهي تملأ عينيها بوجهي في
سعادة وفرح ، وهمت :

وماذا عن رقة (نسرين) ، وحنانها ؟

ضحكت وأنا أقول :

– قلت لك إنني أحبك أنت .

اتسعت ابتسامتها في سعادة جمة ، وهتفت في
مرح :

– هيا يا (أكرم) .. هيا بنا نشاهد الغروب
معاً .

وانطلقت تعدو فوق الرمال ، وتركل الأمواج

في سعادة ، كطفلة صغيرة ، أهدى إليها والداها
لعبة جديدة أنيقة ، طال اشتياقها لها ، وهي تمسك
كفى في لفة ، وتثبت بها في حرارة ، وكأنها
تخشى أن أفلت منها ..

ولأول مرة ، لحت النشوة والانهار في وجه
(نزمين) - شخصية (نسرين) الثانية - ونحن
نشاهد غروب الشمس معاً ، ولقد بدأت مشاعرنا
تتخرج بمشاعر شخصيتها الحقيقية ، فقد اكتسب
صوتها رقة (نسرين) ، واكتسبت عيناها حنانها ..
لقد قارب الشفاء ..

هذا ما هتف به (مراد) ، وأنا أقص عليه ذلك «
ثم استطرد في حماس :

- لقد حققت نجاحاً مبرراً يا (أكرم) ، ومن
المحاولة الأولى ، لقد بدأت (نزمين) العابثة تتحول
إلى شخصيتها الأولى ، ومع مرور الوقت لن تلبث
(نزمين) أن تلدوب في أعماق (نسرين) ، وتتلاشى
وتبقى لك (نسرين) وحدها .

سأله في لفة :

- هل أنت واثق من ذلك ؟

عاد يهتف في حماس :

- كل الثقة .. لقد اجتزت أعقد خطوات
العلاج يا صديقي .

سبح عقل مع ذكريات ذلك اللقاء ، وعدت
أنذكر رقة (نزمين) « وعلوبتها « بعد أن صارحتنا
بجبي ، ونعمت وكأنني أحدث نفسي :

- لقد طلبت مني إهداءها إحدى صوري .
تألقت عينا (مراد) ، وهو يسألني في اهتمام :

- وماذا فعلت ؟

هزرت كفى ، وأنا أنعم :

- لقد أعطيتها صورتي كما طلبت - وكتبت
خلفها إهداء عاطفياً و ..

سألني في قلق :

- لمن كتبت الإهداء ؟

لم أفهم سؤاله للوهلة الأولى ، وبدأ ذلك واضحاً
في قسماتي ، فعاد (مراد) يسأل :
- أعني هل كتبت الإهداء لـ (نسرين) ، أم
لـ (نرمين) ؟

عقدت حاجبي ، وأنا أقول :
- لـ (نرمين) .

ظهر الغضب على وجهه ، وهتف في حق :
- خطأ .. إنك تفسد كل شيء .
سأله في حيرة وقلق :

- لماذا ؟

لوح بيده « وقال في حدة :

- هل نسيت أن (نرمين) شخصية وهمية ،
لن تلبث أن تزول ، وتعود (نسرين) إلى طبيعتها ؟ ..
ماذا سيحدث لها لو أنها قرأت الإهداء « وهي في
شخصية (نسرين) ؟ .. قد يصيبها ذلك بانهايار
عصبي عنيف .

اتسعت عيناى في ذعر ، وأنا أهتف :

- يا إلهي ١١ . انهار عصبي .

مال (مراد) نحوي ، وقال في صرامة :

- لا بد أن تستعيد هذه الصورة ، قبل أن

تسرجع (نسرين) شخصيتها الحقيقية .

سأله في توتر :

- كيف ؟

أجابني في حدة :

- بآية وسيلة .. المهم أن تفعل .

ظلت عبارته هذه تدوى في أذني طيلة الليل ،
وأنا أجوب حجرتي كأسد حبيس ، حتى أشرقت
الشمس ، فارتدبت ثيابي ، ورحلت أجول في المنطقة ،
والقلق يعصف بنفسى « حتى رأيتها تقف في شرفة
الفيلا ..

نبض قلبي في عنف ، وأنا أسرع الخطأ نحوها ،
وأتساءل عن مستكون هذه المرة ..

(نسرين) أم (نرمين) ؟

ومن حسن الحظ أنها لم تكن قد استرجعت

شخصية (نسرين) بعد ، فقد استقبلتني في لفحة
حقيقية ، وأمسكت كني في حرارة ، وهي تتطلع
إلى ملاهي بعينين جريئتين ، ودون لفحة واحدة من
الحجل ، الذي يميز شخصية (نسرين) ..

وقلت في قلق :

— هل يمكنني استعادة صورتي يا .. (نرمين) ؟
حدثت في وجهي لحظة ، ثم غمغمت في قلق :
— لماذا ؟

حاولت أن ابتسم ، وأتظاهر بالمرح ، وأنا أقول :
— إنهم يطلبون إحدى صورى للضرورة القصوى ،
في مكتب القاهرة ، ولست أملك غيرها ..

قاطعتني في حق :

— كلاً .. لن أعطيك الصورة .

تملكني جزع شديد ، وأنا أقول في لهجة متضرعة :
— أرجوك يا (نرمين) .

هتفت في عناد :

— كلاً .. إنها لم تعد ملكاً لك ، لقد أصبحت

ملكاً لي ، وهذا الإهداء خلفها بخصني وحدي .
ثم أفلتت يدها من يدي ، وأسرعت إلى الفيلا ،
وأغلقت بابها خلفها في حدة ، وكأنها توقف الحديث
عند هذه النقطة ..

ووقفت حائراً مذهولاً ، وأنا لا أدري ماذا أفعل ..
بل ماذا سيحدث إذا استعادت (نسرين)
شخصيتها الحقيقية ، ورأت الإهداء ؟

عصف القلق بنفسى ، وامتلات أعماقي بالحيرة ،
فعدت أدق باب الفيلا ، وأنتظر حتى فتحت (نرمين)
الباب ، وقالت في صرامة :
— لن تأخذ الصورة .

كان من الواضح أنها لن تراجع أبداً ، لذا
فقد ابتسمت في مرارة ، وقلت :
— حسناً يا (نرمين) .. سأتركها لك ، حتى
لو فقدت فرصتي في الشركة .

ثم استدرت ، وتظاهرت بالانصراف غاضباً ،
فأسرعت خلفي ، وأمسكت كني في لفحة ، وهي تقول :

— هل غضبت ؟

استدرت إليها في حنان ، وأنا أقول :

— إنني لا أغضب منك أبداً .

ابتسمت في سعادة ، وهي تقول :

— اترك لي الصورة يوماً واحداً إذن .

ابتسمت في شحوب ، وأنا أعظم :

— لا بأس .

هتفت في لهفة ودلال :

— (أكرم) .. أما زلت تحبني ؟

أجبتها في إخلاص :

— نعم أحبك يا ..

توقفت لحظة ، فسألتني في مرح :

— يا من ؟

ضحكت في مرح ، ثم ضمنت كفها إلى صدرى

في حرارة ، وقلت في حب عميق :

— أحبك .. أحبك يا (زمين) .

ولا أظن أنني رأيت في حياتي ابتسامة فرحة

متألقة ، مثل تلك التي ارتسمت على شفثها إثر

عبارتي ، حتى أن تلك الابتسامة لم تفارق ذهني

لحظة ، طيلة عملي في ذلك اليوم ، حتى فوجئت

بعامل مكتبي يقنحه في توتر ، ويهتف في جزع :

— الآنسة يا باشمهندس .

أرجفت عبارته الجزعة قلبي ، وهبطت به بين

قدمي ، وأنا أهتف :

— ماذا بها ؟ .. ماذا أصابها ؟

أجابني في صوت حزين ملتاع :

— لقد نقلوها إلى المستشفى .

سقطت على مقعدي من فرط صدمتي ، وأنا

أعظم في ألم :

— المستشفى ؟ !

أوما العامل برأسه إيجاباً ، وقال في حزن :

— نعم ياسيدي .. لقد أصيبت بانحيار عصبي .

وجهد الدم في عروقي ..

• • •

لست أدري كم مرّ من الوقت وأنا مستمر في مقعدى « من فرط الألم والذهول » وأنا أستعيد أحداث الشهر كله ..

لقد تحققت نبوءة (مراد) ..

لقد استعادت (نسرين) شخصيتها ، ورات الصورة ، وقرأت الإهداء ، وأصابها الموقف بصدمة عصبية قوية ..

إنها لا تترك أن (نرmin) هى جزء منها ، وأن حبي لها هو جزء من حبي لـ (نسرين) .

لا تترك أنها مصابة بانفصام شخصية قوى ونادر .. لقد غارت من نفسها ، وتألّت من روحها .. لقد اتهمتنى بخيانتها مع نفسها ..

يا له من موقف عجيب !!

كيف أؤكد لها إخلاصى وحبى ١٩

كيف أبرر لها ما حدث ■

وأخيراً نجحت فى انتزاع نفسى من مقعدى ، وهرعت إلى مستشفى الأمراض العصبية والنفسية ، الذى يعمل فيه (مراد) « ولم أكد أراه حتى هتفت فى ألم : - (مراد) .. لقد ..

قاطعنى ، وهو يُرَبِّت على ظهري فى هلو ووعطف :

- لقد أصيبت (نسرين) بالتهيار عصبى .. أعلم ذلك ،

ترقرقت عيناى بالدموع ، وأنا أنعم :

- كيف عرفت ؟

أجابنى فى إشفاق :

- لقد وصلت وأنا هنا ، وما أن رأيت ملامحها ،

وعرفت اسمها ، حتى أبقت أنها نفس حبيبتك .

سقطت منهاراً فوق أقرب مقعد إلى ، وأنا

أنعم فى ألم :

- ماذا سيكون مصيرها يا (مراد) ؟

هزّ كتفيه وقال :

- ستشفى من الانهيار العصبى ، ولكن علاجها

من انفصام الشخصية سيحتاج إلى وقت أطول .

بكيت في حزن وألم ، وأنا أنعم :

— إتنى أحبها يا (مراد) .

جلس إلى جوارى ، ونعم في حزن :

— أعلم ذلك يا (أكرم) ، ولكننى أتمنى أن

تراجع موقفك في شعورك هذا .

سألته في ألم :

— لماذا ؟

مط شفتيه لحظة ، ثم أجاب :

— لو أنك قررت الزواج منها فسيكون عليك أن

تزوج اثنتين ، إحداهما (نسرين) الرقيقة ، المفعمة

بالحنان ، التى هى مثال للزوجة الصالحة ، والأخرى

(نزمين) الالهية العابثة ، التى قد تأتى من الأفعال

ما لا يروق لك ، وما يجعلك تفقد احترام المجتمع .

— فليذهب المجتمع إلى الجحيم .

— هذا يتناقض مع رغبتك في النجاح والتفوق ،

فالإنسان الناجح جزء من المجتمع ، ونظرة المجتمع

***** ٨٨ *****

إليه قد تدفعه إلى مزيد من النجاح والرقى ، أو إلى

هاوية الفشل واليأس .

— إتنى أحبها .

— من تحب ؟ .. (نسرين) أم (نزمين) ■

— إنهما شخص واحد .

— ما دامت لم تشف بعد ■ فهما شخصيتان .

— سأتزوجها كما هى .

— كما هى (نسرين) ، أم كما هى (نزمين) ■

— كليهما ..

— خطأ .. إنك مثلوب حباً للأولى ، ومقتاً

للثانية ، وسيفشأ في أعماقك صراع ، قد يؤدى إلى

إصابتك بانفصام شخصية أيضاً .

— هذا لا يهمنى .

— لا تسرع يا (أكرم) فالقرار بالغ الخطورة .

ثم وضع يده على كتفى في حنان ، وقال :

— 'عده إلى القاهرة يا (أكرم) ، وحاول أن

تفكر في الأمر بعيداً عن بؤرة مشاعرك ، وأنا واثق

أنك متصل إلى قرار حكيم ، حينما تعود .

***** ٨٩ *****

ران صمت عميق على الحجرة ، بعد أن انتهى
(أكرم) من قصته ، وظل (حسنى) شاردًا لحظات ،
ثم نهض من مقعده « ووقف يتطلع ، عبر النافذة ،
إلى الشارع المزدهم بالمارة والسيارات ، دون أن
ينطق بكلمة واحدة ، إلى أن ارتفعت طرقات والدته
على باب الحجرة ، فأسرع يلتقط منها كوبى الشاي ،
ويشكرها بكلمات رقيقة حانية ، ثم أغلق الباب مرة
أخرى ، وناول (أكرم) كوباً منهما ، ورشف
رشفة من الآخر ، قبل أن يقول فى هدوء :

- وهل توصلت إلى قرار ما ؟

أطرق (أكرم) برأسه ، وهو يفنم :

- إتنى أحبها يا (حسنى) ، ولن بمكنى العيش
بلونها .

- حتى ولو ظلت مصابة بهذا المرض طيلة عمرها ؟

- نعم .

قلت وأنا أبكى المأ :

- لن أتركها وحدها .

مز كنفه ، وقال :

- إنك لن تفعل لها شيئاً هنا ، فزيارتها ممنوعة .

وهى تتناول أدوية تجعلها فى نوم دائم تقريباً .

ثم ربت على كفى ، واستطرد :

- عد إلى القاهرة يا (أكرم) .

ولقد استمعت إلى نصيحته ، وعدت إلى القاهرة

منذ ثلاثة أيام ، ولكن النوم لم يجد طريقه إلى جفونى

أبداً ، حتى أتى أجوب شوارع القاهرة من شروق

الشمس إلى غروبها ، عسى أن ينهكنى هذا ، فأستسلم

للنعاس ، ولكن هيات ..

هيات أن يعرف قلبى الراحة « قبل أن أصل إلى

قرار حاسم ..

ولقد أهلكنى الحيرة يا صديقى ..

أهلكنى تماماً ..

— هل تعتقد أنك ستحصل (نسرين)
و (نزمين) معاً ؟

— حبي لـ (نسرين) سيكفيهما معاً .

— ستعذبك (نزمين)

— ستتمحو (نسرين) عذابها .

— ستقودك (نزمين) إلى الفشل .

— سترفعني (نسرين) إلى قمة النجاح ، على

الرغم من فشل (نزمين) .

ضم (حسنى) شفتيه ، وقال :

— إذن فأنت تحبها حقاً .

هتف (أكرم) في حرارة :

— لم أعد أشك في ذلك يا (حسنى) .

صمت (حسنى) لحظة أخرى ، ثم قال :

— سأذهب لمقابلة (مراد) .

ههم (أكرم) في حيرة :

— لماذا ؟ .. لقد أخبرتك كل ما ذكره لي .

أجابه (حسنى) في حماس :

— قد يخبرني بالمزيد ، فأنت تستمع إليه بأذني
عجب ، أما أنا فستسمع إليه بأذنين عادلتين .

صمت (أكرم) مفكراً ، ثم هتف :

— سأذهب معك .

رَبَّتْ (حسنى) على كتفه ، وقال :

— كلاً يا (أكرم) .. سأذهب وحدي ،

وأريدك أن تلزم منزلك حتى أعود إليك .

خفض (أكرم) عينيه الذابلتين ، ونغم في حزن :

— كيف أشكرك ؟

عاد (حسنى) يُرَبِّتْ على كتفه ، ويقول في

مزيج من الحنان والعطف :

— لا تقل هذا يا (أكرم) .. إننا صديقان .

وفي اليوم التالي ، كان (حسنى) يجلس مع

(مراد) ، الذي استقبله في حرارة ، واستمع إليه

في اهتمام ، لم قال :

— لو أردت رأيي يا (حسنى) ، فن الأفضل

أن يتركها (أكرم) .

سأله (حسنى) فى قلق :

— هل تظن أنها لن تشفى يا (مراد) ؟

هز (مراد) كتفيه ، وقال :

— سيمضى وقت طويل .. طويل جداً .

ثم اعتدل فى مقعده ، وقال :

— كان من الممكن أن تشفىها الصدمة ، ولكنها على العكس ، زادت من صعوبة حالتها « فن المعتاد فى مثل هذه الحالات النادرة ، من انفصام الشخصية ، أن تجهل كل من الشخصيتين وجود الأخرى تماماً ، ولقد كان هذا صحيحاً فى البداية « وبعد الصدمة النفسية ، التى مرت بها (نسرين) ، تصورت أن (نرمين) هى توءمتها ، وأنهما تتعايشان معاً ، وهذه قمة الانهيار فى مثل هذا المرض .

عقد (حسنى) حاجبيه ، وقال :

— ألا يمكن أن يكون هذا صحيحاً ؟

ابتسم (مراد) ، وقال :

■ * * * * * ٩٤ * * * * *

— وأين توءمتها هذه ؟ .. إنها هنا منذ أربعة أيام ،

فلماذا لم تأت لزيارتها مرة واحدة ؟

عاد (حسنى) يسأله فى اهتمام :

— هل سألت والدتها ؟

هز (مراد) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

— والدتها تحمل بين جنباتها قلباً ضعيفاً ،

ولو أتت أخبرتها عن حقيقة مرض ابنتها ، لسقطت جثة هامدة .

سأله (حسنى) فى توتر :

— أما من وسيلة لمعرفة الحقيقة إذن ؟

مط (مراد) شففيه ، وقال :

— لسنا نحتاج إلى ذلك ، فالحالة واضحة .

ثم مال نحو (حسنى) ، وسأله :

— هل تحب مقابلتها ؟

أجابته فى لهفة :

— لئننى أتمنى ذلك .

ابتسم (مراد) « وقال :

■ * * * * * ٩٥ * * * * *

— حسناً .. هيا بنا .

واصطحبه إلى حجرة أنيقة ، لم يكد (حسنى)
ينخطو داخلها ، حتى بهره جمال (نسرين) ورقتها ،
وهى تجلس على طرف فراش ناصع البياض ،
والحزن يملأ ملامحها كلها ، وهمس (مراد) ، وهو
يشير إليها :

— سأتركك تتحدث إليها وحدكما يا صديقي ،
ومتناقش الأمر بعد ذلك .

ثم تراجع خارج الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ..
ووقف (حسنى) لحظة متردداً ، ثم تقدم إليها ،
فرفعت عينيها لتأمله فى استكانة ، مما جعل صوته
يتلعم ، وهو يغتمم :

— أنا (حسنى) .. صديقي (أكرم) .

ارتسم الحزن فى عينيها ، وخفضت وجهها الجميل
فى ألم ، وهى تغتمم :
— ماذا تريد ؟

وجد صعوبة كبيرة فى السيطرة على مشاعره ،
وهو بهمس :

— أريد أن أعرف ماذا حدث ؟

ابتسمت فى ألم ، وهى تقول :

— ولماذا لم يأت (أكرم) بنفسه ؟

عاد (حسنى) يكرر :

— أريد أن أعرف .

رفعت عينيها إليه فى حزن ، وغتممت :

— حسناً .. سأخبرك بكل شيء .. سأخبرك

بالقصة كلها .

وبدأت تروى ...



لست أذكر عن والدي إلا أقل القليل ، فقد طلق والدي وأنا في الثانية من عمري ، ونقل أعماله كلها إلى أوربا ، حيث كان يدخر هناك ثروة طائلة ، نجح في تهريبها في أثناء وبعد موجة التأميات التي قامت بها الثورة ، ولما كانت الظروف في تلك الأيام ، لا تسمح له بالتمتع بثروته ، فقد غادر البلاد كلها ، وأخذ يعمل في أوربا ..

وطوال سنوات عمري كلها لم يحاول رؤيتي ، أو حتى الاتصال بوالدي التي لا أذكر أنها أساءت إليه بكلمة واحدة طوال عمرها ، ونشأت في بيت حزين ، وأمي تحاول توفير كل احتياجاتي ، ويعاونها على ذلك ميراثها الكبير من والدها ، الذي كانت ابنته الوحيدة .. وفي بعض الأيام كنت أجد أمي تبكي في حرارة ، وهي تحتضن صورتي ، وتقبلها في لوحة وأمي ، فكنت أرتمي في أحضانها ، وأشاركها البكاء ، دون

أن أدري له سيباً ، وهي تحتضني في لفة وحنان ، وكأنها لم ترني منذ زمن طويل ..

وكبرت على هذا الموقف ، الذي يتكرر كثيراً ، وأنا أنعمر أمي بالحنان والحب ، علني أنجح في انتزاع حزنها الغامض الدفين « إلى أن جاء يوم ، كنت عائدة من آخر أيام امتحانات الثانوية العامة ، حينما فوجئت بأبي تبكي ، وترتدي ثوباً أسود اللون ، فهرعت إليها أسألها عما حدث ، وعن سر الثوب الأسود ، والبكاء الحار ، فرببت على شعري في حنان ، وقالت من وسط دموعها :

- توفي والدك يا (نسرين) .

صدمتني عبارتها ، وزلزلت كياني ، فوجدت نفسي أنخرط في بكاء حار ، ودموعي تنهمر في غزارة .. كنت أبكي والدي ، الذي تجاهلني طيلة خمسة عشر عاماً ، والذي لم يحاول السؤال عنا يوماً .. كنت أبكي الأب الذي فقدت جسده وروحه ، بعد أن فقدت اهتمامه ..

لقد كنت أحلم دوماً بعودة أبي إلى أمي ..

كنت أحلم بأن أصبح فتاة عادية ، لها أب وأم ،
وأمرأة سعيدة ، مثل كل زميلاتي في المدرسة ، وعندما
علمت أن والدي قد توفي ، انهار حلمي ، وتحطمت
آمالي ، وأصابني صدمة نفسية عنيفة ، استغرقت
شهرًا كاملاً ، قبل أن أعود إلى حياتي الطبيعية ..

و ذات يوم ، بعد مضي شهرين على وفاة والدى ،
جاءت أمى إلى حجرى ، والارتباك يلوح فى كل
قسماتها ، وقالت :

(نسرین) .. هناك أمر أحب أن أخبرك به .

سألها في اهتمام ، وقد أظفني ارتباكها :

— ما هو يا أماء ؟

جلست على طرف فراشي ، وهي تفرك كفها
في اربطاك ، قبل أن تقول :

— بعد وفاة والدك —

لم تستطع إكمال عبارتها ، فاحتضنتها في حنان ،
وقبلت وجنتها ، وأنا أقول :

وقبلت وجنتها ، وأنا أقول :

— إني أستمع إليك يا أماء .

تطلعت إلى في حيرة وارتباك، ثم قالت في همس متلعثم :

— بعد وفاة والدك ستأتى شقيقتك للعيش معنا .

كانت المفاجأة مذهلة لى ، فتراجعت فى حدة ،
وأنا أهتف فى استنكار :

— شقیقنی ؟ !

ازداد ارتباك أمي ، وخفضت وجهها أرضاً ،
وهي تقول في مرارة :

- نعم يا (نسرین) .. شقیقتک .. توء ملک یا بنیتی .

هفت فی ذہول :

— نوعی ۱۹

انہالت دموع امی : وہی تقول :

— اسمعی الیٰ یا ابتی .. حیثا أنجبتک لم تكونی

وحدك .. كُنْما توءمتين ، راعيتي الجمال ، لا يمكن

للمرء التفرقة بينكما أبداً ، ولقد أسعدني هذا جداً ،

وأطلقت عليك اسم (نسرین) ، وعلى توءمتك اسم

(نزمين) ، وكنت أميز إحدكما عن الأخرى بلون
الثياب فقط ، ولقد أخبرني طيب العائلة أن هذا
يرجع إلى أنكما نشأتما من بويضة واحدة ، انقسمت
نصفين متساويين تماماً ، وكان هذا التشابه مستمراً
معكما ، حتى بلغتما الثانية من عمريكما .

وتهدت في حزن ، قبل أن تستطرد :

— ثم حدث طلاق من والدك ، وأصرَّ هو على
الاحتفاظ بكما . وبعد تدخل والدي (رحمه الله) ،
وتهديده له بالقانون ، تظاهر بالتراجع ، وأخنى عنا
تماماً فكرة سفره وعمله بالخارج ، حتى جاء يوم
السفر . فجاء إلى هنا ، وحمل (نزمين) بحجة شراء
بعض الحلوى لها « وفرَّ بها إلى (سويسرا) ، وتركني
أكاد أجن لوعة وعذاباً .

وازداد انهماك دموعها ، وهي تردف :

— وفشلت كل المحاولات في إقناعه بإعادة
(نزمين) ، حتى توفي والدك ، وفقدت آخر أمل
لي باستعادة توأمك ، ولم أكن أحب الإشارة إليها

■ * * * * * ١٠٢ * * * * * ■

أبداً ، وكذلك فعل الجميع ، وهكذا نشأت دون أن
تعلم بوجود شقيقة لك ، أما أنا فقد كنت أرى
فيك صورة منها ، وكنت أذكرها دوماً ، فأحتضن
صورتك وأبكي ، وأنا أدعو الله أن يمنحني فرصة
رؤيتها ، قبل أن ألقاه .

أذابت قصة أمي قلبي ، فأحتضنتها في قوة ،
وشاركتها الدموع « وأنا أهتف :

— لقد حقق الله رغبتك يا أماء .. ستأتي (نزمين) ،
ونحيا معنا « وسنكون أسعد أسرة في العالم ..
احتضنتني أمي في فرح ، وغمفت ، وهي تغمر
وجهي بالقبلات :

— هذا ما أرجوه يا بئني .. هذا ما أرجوه .

وأصبحت أكثر حماساً من أمي لرؤية (نزمين) ،
وأصبحت أنتظرها في لهفة ، فمن النادر أن يكتشف
الإنسان وجود صورة مرآة منه ..

ووصلت (نزمين) ..

كان وصولها مفاجأة لي ..

■ * * * * * ١٠٣ * * * * * ■

لقد كانت صورة طبق الأصل منى ..

نفس الملامع والجسم ، على نحو مذهل ..

ولقد استقبلتها في حرارة وفرح ، واستقبلتها أى
في سعادة جنونية ، وظلت تقبلها طيلة اليوم ، ولكن
(نزمين) بدت باردة ، ترقب استقبالنا لها في
مصرية ، وكأنها تشاهد فيلماً هزلياً ، وفي ذلك اليوم ،
بدأت أحصى أوجه الخلاف بيننا ..

فعل الرغم من تشابهنا التام ، الذى أشك في
وجود مثله ، إلا فيما ندر ، كنا نختلف في الكثير ،
فصوتانا متشابهان ، و (نزمين) تتحدث العربية في
طلاقة ، بحكم انسابها إلى أب مصرى ، ولكن لكتبتها
تحمل بعض النبرات الأوروبية ، وكذلك طبيعتها ، التى
نشأت في مجتمع يختلف عن مجتمعنا الشرقى تماماً ..

كانت (نزمين) قاسية ، ساخرة ، تحمل في
أعماقها قدراً كبيراً من الاستهتار ، وحب المرح
واللهو ، كما أنها كانت جريئة ، تفعل ما تشاء وقتها
تشاء ، دون أن تبالي بمشاعر الآخرين ، على عكس

طبيعتى الرصينة ، التى تميل إلى احترام الجميع ، وإلى
الهدوء والرزانة ..

ولقد كان اختلافنا مبعث ضريبة (نزمين) ،
وتهكمها طيلة الوقت ، بل إنها كثيراً ما أبدت دهشتها
من كوننا توءميتين ، وصرعان ما اكتشفت أن (نزمين)
هى صورة مرآة منى تماماً ، ولكنها مرآة سوداء ،
تحمل في أعماقها كل ما أكرهه وأمقته ..

ولقد حاولت طويلاً أن أحب (نزمين) ، لأنها
شقيقتى ، وتوءمى ..

ولكننى عجزت ..

كانت فكرة المرأة السوداء تراودنى دائماً ، كلما
حاولت التقرب إليها ، وكان أسلوبها المستهتر الساخر
يصدنى دائماً ، ويمنعنى من الإحساس بها كشقيقة ..
وبدأت (نزمين) تناصبنى العداء دون مبرر ..
لقد أجادت الحديث بلهجة مصرية ، وبأسلوب
يشبه أسلوب حديثى تماماً ، حتى يمكنها أن تسخر منى ..
كانت كثيراً ما تضعنى في مواقف حرجية ، حينما

ترتدى ثيابى ، وتتعامل وكأنها أنا ، لمجرد السخرية
والعبث ..

وكرهتها .. كرهت توهمى ، التى تصر دائماً
على تدميرى بمرآتها السوداء الحاقدة ..

والتحقت بكلية العلوم ، وزادت الفجوة
بينى وبين (زمين) ، حتى أننا لم نعد نلتقى إلا فيما
ندر ، على الرغم من عيشنا فى منزل واحد ..

ولاحظت والدنى ما بيننا ، وحاولت بشتى
الطرق إقناعنا بحب إحدنا للآخرى ، ولكن عبثاً ..
ووسط كل هذه الأحداث وقعت جدتى مريضة
بشلل نصفى ، أعاقها وأعاق حياتنا كلها ..

لقد انتقلت جدتى للعيش فى منزلنا ، وكان علينا
رعايتها ، وتوفير متطلباتها ، نظراً لعجزها عن خدمة
نفسها بنفسها ..

وهنا وصل صراعى مع (زمين) إلى ذروته ..
لقد رفضت رفضاً باتاً ، التعاون لخدمة جدتها ،
وأعلنت فى وقاحة أن هذا لا يعنينا ، وأنه من الأفضل

أن تذهب جدتنا إلى أحد ملاجئ العجزة ..

كانت تتحدث بأسلوب بارد مادي ، خال من
العواطف ، يؤكد انتهاءها إلى المجتمع الأوربى ، الذى
نشأت فيه ، وليس إلى المجتمع المصرى الذى تنتمى إليه ..
وهنا تجلت سمة من سمات أمى ، لم أكن قد
تنبهت إليها من قبل ، فواجهت (زمين) فى صرامة
وحزم ، وخيبرتها بين التعاون لخدمة أمها ، أو
الانعزال عن الأسرة كلها ..

لست أدري كيف أمكن لوالدنى معاملة (زمين)
على هذا النحو ، على الرغم من سعادتها بالجمعة بعودتها ،
ولكن أسلوبها وجد استجابة عجيبة ، فقد وافقت
(زمين) على المبدل ، بشرط أن نتبادل أنا وهى
رعاية جدتنا ..

ومضت الشهور ، ونحن نلتزم بهذا الاتفاق ، فكل
منا تتولى رعاية جدتى أسبوعاً متواصلاً ، ونجحت
أنا فى السنة الأولى بكلية العلوم ، فى حين لم تحاول
(زمين) حتى دخول امتحان الثانوية العامة لثانى مرة
بعد رسوبها الشنيع فى المرة الأولى ، وأدى نجاحى إلى

لم نكد نضع رحالنا في فيلا العجمي ، حتى
انطلقت إلى شاطئ البحر ، الذي أعشقه ، وأخذت
أقطع الشاطئ جيئة وذهاباً ، وأنا أشعر بالنشوة
تسلل إلى صدري ، مع نسائم البحر . وامتلأت
نفسى بالراحة والسعادة ، وأنا أرقب غروب الشمس ،
ذلك المشهد الذي لا يفقد روعته في أعماق أبداً ..

وأخذت أنطلع إلى قرص الشمس في الشفق ،
وإلى ذلك المزيج الرائع من ألوان الطبيعة ، الذي
لا تجده أبداً إلا في غروب الشمس وشروقها ، وحينما
غاص القرص المحتضر في أفق البحر ، كانت النشوة
قد مرت في عروفي حتى الأعماق . فاستدرت ،
وعدت إلى الفيلا ، وأنا أسترجع ذلك المشهد الرائع
في ذاكرتي ..

وفجأة انتابني شعور عجيب ..

شعرت وكأن شخصاً ، يحدق في وجهي ..

مزيد من حقدتها على ، ومن الكراهية المتبادلة بيننا ..
ويبدو أن أمي لم تحتل هذا الصراع المتواصل ،
فلم تلبث أن سفطت طريحة الفراش بدورها .
واستلزم علاجها شهراً كاملاً ، نصحبها الطبيب بعده
بقضاء بعض الوقت في مكان مختلف ، حتى يمكنها
استعادة صحتها ، ووقع اختيارنا بالطبع على فيلا جدي
في العجمي ، وقررنا أن نقضي فيها شهراً كاملاً ..
ووقفت أمامنا مشكلة جدتي المريضة . التي
لا تسمح حالتها بالانتقال ..

ولما كان الذهاب إلى العجمي ضروري لأمي ،
اتفقنا على أن تتولى كل منا أنا و (زمين) مهمة
البقاء مع جدتي في القاهرة ، ورعايتها بالتناوب ،
على أن تستغرق كل منا أسبوعاً كالمعتاد ..

وجاءت النوبة الأولى من نصيب (زمين) ،
فسافرت أنا ووالدتي إلى العجمي . وهناك ، ومع
أول وصولنا ، بدأت قصة جديدة ..

قصة حبي مع (أكرم) ...

شعرت بذلك على الرغم من أنني كنت أنظر إلى
رمال الشاطئ ..

ورفعت عيني إلى الأمام ، وفوجئت بـ (أكرم)
يجلس كالمشدوه ، وهو يتطلع إلى وجهي في انبهار
شديد ، فانتابني مزيج من الحجل والسعادة ،
وأسرعت إلى الفيلا ، وقلبي ينبض في قوة ، ونظراته
لا تفارق رأسي أبداً ..

وفي تلك الليلة وجدت نفسي أفكر في صاحب
تلك النظرات ..

كانت ملائحته من ذلك النوع الذي يبعث في
نفسي الارتياح ، فهو يضاوي الوجه ، حليقه ،
أسود الشعر ، ناعم ، له ملامح جميلة ، وتقاطيع
دقيقة ، تم عن الرقة والرجولة في آن واحد .
كان صورة من فارس أحلامي ..

ولكنني لم أجرؤ على التفكير في وجود أي نوع
من العلاقة معه ، إذ كانت طبيعتي الرصينة تمنعني من
محاولة الارتباط بأي شاب مالم يقم هو بالخطوة الأولى ..

ولقد فعل ..

كنت أجلس في شرفة الفيلا في الصباح التالي ،
أطالع واحدة من تلك الروايات العاطفية ، التي تخلب
لبي ، حينما اقترب هو ، وحياني تحية الصباح ..
ولقد ارتجف قلبي ، وخفق في شدة ، وأنا أرد
تحيته ، وشعرت بسعادة جمّة ، وهو يعرفني نفسه ،
وبدأ الحوار بيننا ، وامتد ، حتى وصلت أمي ..

ونزكني (أكرم) ، بعد أن اعتذر عن دعوة
أمي ، لتناول الغداء ، في أسلوب مهذب ، وبعد أن
تواعدنا على لقاء آخر ، ولم أكد أدخل إلى الفيلا
بصحبة أمي ، حتى بادرتني قائلة :

— من هذا يا (نسرين) ؟

أخبرتها عن كل الحديث الذي دار بيننا فابتسمت
في حضنان ، ومسحت على شعري الطويل بكفها في
رقة ، وهي تقول :

— يبدو أنه شاب ممتاز .

نعممت وأنا أحاول كتمان سعادتي :

— وله مستقبل باهر (بإذن الله) يا أمى .

أطلقت ضحكة خافتة ، وقبلت وجنتى ، وهى

تقول :

— فليفعل الله ما فيه الخير يا بنيتى .

وتورّدت وجنتى بحمرة الخجل ، حينما فهمت

المعنى المستتر خلف عبارتها ، ولكننى شعرت بالسعادة

لأنها أبدت موافقة ضمنية على هذا النحو .

والتقينا أنا و (أكرم) ..

التقينا أكثر من مرة ، وجمعنا غروب الشمس

لأسبوع كامل ..

وكان لهذا الأسبوع فعل السحر ..

لقد بدأت علاقتنا بنوع من الإعجاب المتبادل ،

والآراء المشتركة ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى صوت

مشترك يجمع قلوبنا ، وصرعان ما اتخذ هذا الصوت

اسماً واضحاً ، قوياً ، هتف فى قلوبنا فى آن واحد ..

اسم الحب ..

مع نهاية الأسبوع أيقنت تماماً أننى أحب (أكرم) ،

وأنه يحبنى ..

قد يعترض البعض على نشوء الحب بهذه السرعة ،

ولكننى أرى ذلك منطقياً ، فنحن لا نحب بسرعة

أبداً ، وإنما تكون فى أحلام كل منا صورة للشخص

الذى يحب ..

لست أقصد ملامحه ، وإنما أفكاره وصفاته .

وحينما نلتقى بالشخص الذى يشبه هذه الصورة ، فإننا

نرتبط به بسرعة ، وكأننا كنا نبحث عنه طيلة عمرنا ،

وإذا ما تأكدنا من صدق ما يبدو لنا من طباعه ،

فإننا نقع فى حبه ، دون اعتبار للزمن ..

وهذا ما حدث ..

وبعد مضى هذا الأسبوع ، وبينما كان (أكرم)

يوصلنى إلى الفيلا ، كان قد صرح لى بمواطنه

نحوى ، بأسلوب غير مباشر ، فتواعدنا على اللقاء

فى الغد ، وافترقنا ..

ولم أكد أدخل الفيلا حتى فوجئت بـ (نرمين) ،
تقول في سخرية :

— كيف حال الغروب ؟

صافحتها في برود ، وأنا أنعمم :

— وما أدراك أنت به ؟

ظهر الغضب على وجهها لحظة ، ولوحت
بكفها ، وهي تقول :

— ومتى سأجد الوقت لمشاهدته ، ما دمنا تتركاني
لخدمة هذه العجوز .

قالت أمي في صرامة :

— إنها جدتك يا (نرمين) .

ابتسمت في سخرية ، وقالت :

— لست أحتاج إلى من يذكرني بذلك .

هتفت بها في دهشة :

— ولكن كيف أتيت وتركيت جدتنا وحدها ؟

هزت كتفها في لامبالاة ، وقالت :

***** ١١٤ *****

— لقد انتهت ثوبتي يا شقيقتي العزيزة ..
انتهت في الخامسة مساء .

صمت في غضب :

— ألم يمكنك الانتظار حتى آتي إليك ؟

عقدت حاجبيها ، وهي تقول في صرامة :

— كلاً .. عليك أنت أن تسافري حالا ، وإلا
بانت جدتك ليلتها وحيدة .

هتفت في حق :

— يالك من قاسية !!

أطلقت ضحكة ساخرة ، وقالت :

— أصرعي أينما الحنون وإلا فانتك آخر قطار .

أخذت أرتدى ثيابي ، وأرتب حقيبتى ، وأنا

أتميز غيظاً ، وتلك اللعينة تراقبني في سخرية ، وبرود ،

ثم فوجئت بها تلتقط ثوبي البنفسجي ، وتقول :

— هذا الثوب يروق لي .. سأحتفظ به .

كنت أعلم أنها تعتمد إغاظتي ، لذا فقد

تظاهرت بالبرود ، وحملت حقيبتى ، وانصرفت ،

***** ١١٥ *****

وأنا أشعر وكأن قبضة باردة نعتصر قلبي ، لأنني
اضطر لمفارقة (أكرم) ، دون أن أعتذر له عن
لقاء الغد ..

وشعرت بندم شديد ، لأنني لم أترك له رسالة
اعتذار ، أشرح فيها موقفى ، ولم يكد القطار ينطلق
بى فى طريقه إلى القاهرة حتى عبرت قلبي محابة من
قلق لم أدر لها سبباً ، وارتسمت أمام عيني صورة
لمرأتى السوداء ..

صورة لـ (نرمين) ..

ووجدت نفسى أهتف فى أعماقى :
— رباه .. احفظ حبى ..

• • •



١٣ - حيرتى ..

مرت أيامى فى القاهرة بطيئة ، ثقيلة ، جافة ..
لم أقصر فى منح جدى كل الحنان والرعاية
والعناية ، ولكن ذهنى ظل مشغولاً بـ (أكرم)
واشتياقى لرؤيته يتضاعف يوماً بعد يوم ..
وكانت هناك نقطة عجيبة تؤرقنى بشدة ..
حلم يغزو عقلى فى كل ليلة بنفس المشاهد ، ويحطم
مشاعرى فى قسوة ..

كنت أحلم بـ (أكرم) ، وهو يسير إلى جوار
(نرمين) على شاطئ البحر ، وأكفهما متعانقة ،
وعيونهما تفيض بالحب والدفء والحنان ..

ثم أراهما متعانقين ، ينمايان على أنغام موسيقى
ساحرة ، و (أكرم) يهمس فى أذن (نرمين) بأعذب
كلمات الحب والغزل ، ويؤكد لها إعجابه بأسلوبها المرح
المستهتر ، ويسخران معاً من رصانتى وأخلاقى ..
وينتقل بى الحلم فجأة إلى شاطئ البحر ..

إلى الغروب ..

وأراهما معاً وسط قرص الشمس ، متعانقين ..

وأراه يقبلها في حرارة وشوق ..

وأصحو من نوى فزعة ، وقلبي ينبض في قوة ،
ويتضرع إلى الله (سبحانه وتعالى) أن يكون الأمر
مجرد حلم ..

ولكن هذا الحلم ظل يراودني يومياً ، حتى كاد
يصيبني بالجنون ..

ومضت الأيام السبعة ، ولم تعد (نرمين) ،
وتضاعف شعوري بالقلق ، واللهفة لرؤية (أكرم) ،
وكدت أجن حينما غربت شمس اليوم الثامن ، دون أن
تأتي ، لتسنع لي فرصة العودة إلى العجى ..

إلى حبي ..

وأخيراً ، وقبل منتصف ليل اليوم الثامن ،
وصلت (نرمين) ..

لم يبد على وجهها أى نوع من التأثير ، حينما نزلت

في وجهها غضباً ، لتأخرها في العودة ، واكتفت بهز
كفها في استهتار ، وهي تقول :

— إنه يوم واحد فحسب .

ثم أردفت في خبث :

— أم أنك تشاقين لرؤية (أكرم) ! .

شعب وجهي ، وأنا أنطلع إليها في ذهول ،
واحتبست الكلمات في حلقى ، فأطلقت هي ضحكة
ساخرة ، وقالت :

— أنت محقة في حبه « فهو شاب وسيم رقيق ،

بمثلي بالرجولة .

ثم أردفت في خبث :

— إننى أحسدك عليه .

انتزعتنى عبارتها الأخيرة من ذهولي ، فقلت في حدة :

— ابتعدى عنه يا (نرمين) .. إنه لا يصلح لك .

عادت تضحك في جذل ، وتقول :

— أنت على حق ، فهو رصين إلى درجة لن

يمكننى احتمالها .

ثم عادت تردف ، وكأنها تخشى أن تبعث عبارتها
في قلبى الارتياح :

— ولكنه يروق لى ..

هتفت بها فى حنق :

— وما أدراك أنك تروقين له ؟

ضحكت فى مخزية ، وقالت :

— ما دام يحبك فأرووق له ، فنعن نسخة طبق

الأصل من بعضنا البعض .

قلت فى صرامة :

— فى المظهر الخارجى فحسب ، ولكننا نختلف

كثيراً فى الجوهر .

تألفت عيناها بريق التحدى ، وهى تقول :

— وهل تظنين أنه يفضل جوهرك ؟

هتفت فى حنق :

— بكل تأكيد .

أطلقت ضحكة عابثة ، وقالت :

— تبدين واثقة إلى حد كبير .

***** ١٢٠ *****

شعرت بغضب هائل فى أعماقى ، فقلت فى عصبية :

— اسمعى يا (نرمين) « لآنى أحزنك ..

قاطعتنى فى صرامة :

— اسمعى أنت يا (نسرين) .. لو أتنى أردت

الحصول على حبيبك هذا « لفعلت ، فالرجال يميلون

إلى المرأة المتحررة ، أكثر مما تروقهـم المتحفظة .

— ليس فى الزواج يا (نرمين) .

— هل ستعودين إلى الفلسفة ؟

— كلاً ، ولكن المثل القديم يقول : « الطيور

على أشكالها تقع » ، وهذا يعنى أنه هناك نوع من

الرجال يميل إلى المرأة المتحررة « وهذا النوع يكون

بطبعه محباً للهو والعبث ، لذا فهو يجد مبتغاه فى المرأة

العابثة « ولكنه حينما يرغب فى الزواج ، فإنه يبحث

عن امرأة متحفظة ، لىضمن صباتها لاسمه وشرفه

وكرامته بعد الزواج ، أما النوع الآخر من الرجال ،

والذى لا يميل إلى العبث ، فهو يفضل المرأة المتحفظة

منذ البداية .

***** ١٢١ *****

— أنت واهمة يا توءمنى ، فكل الرجال يذوبون
تحت أقدام المرأة المتحررة .

— إلا (أكرم) .

أطلقت ضحكة عابثة عند هذه النقطة ، وقالت
في خبث :

— سنرى .

هتفت بها في غضب :

— حذار يا (نرمين) .

صمتت لحظة ، بدا خلالها أنها تفكر في عمق ، قبل
أن تلوح بذراعها في استهتار ، وتقول :

— حسناً يا (نسرين) .. سأتركه لك ، فأنا أيضاً

لا أميل لذلك النوع من الرجال .

وأراحت عباراتها قلبي ببعض الشيء ، وإن لم
يفارقه القلق تماماً ، وعدت إلى الإسكندرية ، وإلى
العجمي ، وقد بلغ منى الشوق مبلغه ، لرؤية (أكرم) ..
ولم أكد أصل ، وأبدل ثياب السفر ، حتى أسرع
إليه في مكتبه ، وكان لقاؤنا عاطفياً حاراً ، أعاد إلى

قلبي دفء الحب وحرارته ، ولكنني لمحت شيئاً ما يخفى
خلف مشاعر (أكرم) المتدفقة ..

كان هناك مزيج من الدهشة والخيرة والقلق ..

ولقد انتقلت هذه المشاعر إلى نفسي ..

صحيح أن حبي ، وفرحي ولهفي لرؤيته قد كتموا
هذه المشاعر في أعماقي ، ولكنها لم تمنعني من الخيرة ،
خاصة حينما ذهبنا لمشاهدة الغروب كعادتنا ، وأخذ
(أكرم) يسألني عن مشاعري في زرد ، وكان هناك
ما يريد مصارحني به ، أو أنه يخفى شيئاً ما في أعماقه ..
ثم بدأ يعود إلى طبيعته تدريجياً في الأيام التالية ،
وعدنا نهل من نبع الحب ، وحياة الغرام ، كما كنا قبل
أن أفارقه ..

ومن العجيب أنه لم يحاول أن يستوضح سر غيابي
عنه طيلة هذه الأيام الثمانية ..

ومن الأعجب أنني لم أحاول ذكر ذلك ..

كانت الأيام تمضي بيننا في هناءة ونعيم ، حتى أنني
نسيت كل شيء ، ولم أعد أذكر سوى حبه فقط ..

وبدأت أشاركه حماسه في عمله ، ورغبته في التفوق
والنجاح ..

وفجأة ، وقبل مضي الأسبوع ، عادت (نرمين) ..
عادت ساخطة ، ثائرة ، وقالت إنها لم تعد
تتحمل ، وإنه تكفيها هذه الأيام الخمسة ، ودار بيننا جدل
طويل ، انتهى باضطرارى السفر إلى جدتي كالعادة ..
وبينما كنت أعد حقيقتي في حق « سألتني (نرمين)
في صوت مضطرب ، يخالف طبيعتها الساخرة :

— كيف حال (أكرم) ؟
أدهشني ذلك الحنان المتسلل عبر نبراتنا ، وأثار
في قلبي الخوف ، فغمغمت :
— إنه بخير .

صمت طويلا ، وهي تراقبني في صمت . ثم
غمغمت :

— هل تعلمين أنه شاب رائع ؟
هتفت بها في لهجة متوعدة :
— (نرمين) .. حذار أن ..

قاطعتني في صوت متهدج ، والحزن يطسل من
عينها :

— اطمئني يا (نسرين) .. لن أختطفه منك .
كان هناك شيء عجيب في أسلوبها ولهجتها ..
لقد بدت لي مختلفة عن (نرمين) التي أعرفها ..
بدت لي أكثر رقة ، وأقل شراسة ..
وعاد قلبي ينبض في قلق ..
ما الذي يدل (نرمين) هكذا ؟ ..
ما الذي بعث الرقة في طبيعتها القاسية ؟ ..
وبرز الجواب في رأسي ..
الجواب الذي أخشاه ، وأحاول كتمانته ..
لقد أحببت ..

الحب وحده هو القادر على انتزاع قسوتها
وبرودها ..

هو وحده يمنع قلبها الدفء والحنان ..
وارتجف قلبي وهو يتساءل :
— هل نحب (أكرم) ؟ ..

حاولت أن أقرأ الجواب في ملامحها وعينها
ولكنني عجزت ..

ولم أكد انتهى من إعداد حقيقتي ، حتى أنت
(زمين) فعلا زاد من قلبي ودهشتي ..

لقد احتضنتني وقبلت وجنتي في ود ، وهي تقول :
.. محبتك السلامة يا (نسرین) ..

وعدت إلى القاهرة والقلق بعصف بنفسي ، وذلك
السؤال المخيف يتردد في أعماقي بدوى هائل ..

هل تحب (زمين) (أكرم) ؟ ..

هل انتزعت مني الإنسان الوحيد ، الذي خفق له
قلبي ؟ ..

وعاد ذلك الحلم براود مخيلتي ، ولكن بصورة
مختلفة ..

كنت أرى (زمين) وقد تحولت إلى مثال للرقعة
والحنان ، وسيطرت على مشاعر (أكرم) تماماً ،
وجذبت به بشخصيتها التي تجمع بين الجرأة والمرح ،
والرقعة ..

وأرى (أكرم) وهو يطير معها فوق السحاب ،
والحب يطل من كل خلجة من خلجاته ، وأنا خلفهما
أبكي ، وأحاول أن أنبه (أكرم) إلى وجودي ، ولكنه
لا يلتفت إليّ ، بل يواصل لهوه ومرحه مع (زمين) ..
وأخيراً أرى نفسي أهوى من حالي ، وأصرخ
مستنجدة بـ (أكرم) ، وهو لا يسمعي ، ولا يمد لي
يد المساعدة ..

وأستيقظ من نومي فزعة ، وأبكي حتى مشرق
الشمس .

وأخيراً مضى الأسبوع ، ولم أستطيع احتمال انتظار
قدوم (زمين) ، فأعددت حقيقتي ، وطلبت من
إحدى جارائنا رعاية جدتي ، وانطلقت في أول قطار
إلى الإسكندرية ..

كنت في طريقي إلى شاطئ حي ، دون أن أدري
ما ينتظرنني هناك ■
ويا هول ما وجدت ..

استقبلتني والدتي في دهشة ، حينما وصلت إلى
المعجم في الصباح الباكر ، وكذلك فعلت (نزمين) ،
التي بدت شديدة الرقة ، على نحو أدهشني ، وهي
تحتضني ، وتقبل وجنتي في سعادة ، وتهف في فرح :
- كم أوحشتني يا (نسرين) .

وسألتني والدتي في قلق :
- ماذا حدث يا (نسرين) ؟ .. لماذا تركت
جذلتك ؟

هتفت في حق :
- لقد حان دور (نزمين) .
تطلعت إلى والدتي في دهشة ، في حين تخففت
(نزمين) في صوت حنون حزين ، ضاعف من دهشتي
حيال تبدلها العجيب :
- حسناً يا (نسرين) .. سأذهب ..

وفي هدوء واستسلام يناقضان أسلوبها المعتاد ،

ذهبت تعد حقيبتها ، مما أورتني شعوراً بالندم ، فذهبت
إليها ، وقبّلت وجنتها ، وأنا أقول في حب :

- حسناً يا (نزمين) .. سأعد أنا حقيبتك .
منحتني ابتسامة ودوداً ، وبادلتي قبلي ، ثم تركت
الحقيبة ، وخرجت إلى الشرفة ..

وبينما أنا أعد حقيبتها في حماس سقطت من جيب
أحد قصائنها صورة ، جعلتني أتجمد من فرط الدهشة ،
وانحنيت ألتمسها ، وأنا أرجو أن تكون عيناى قسدا
خدعتاني ، ولكن قلبي لم يلبث أن خفق في عمق ، حينما
تيقنت أنها صورة (أكرم) ..

ظلت أحرق في الصورة بذهول ، وأنا أتساءل
عن سر وجودها في ثياب (نزمين) ، ثم قلبتها في تردد
وانهارت أحلامي كلها ، حينما قرأت الإهداء المكتوب
خلفها ..

« إلى حبيتي (نزمين) مع .. حبي .. (أكرم) » ..
كلمات قليلة حطمت كل المشاعر في أعماقي ، إلا
الأم والحزن ..

لقد أهدى صورته إلى (نزمين) ..

إذن فهو يلوك من يحب ..

وتدفقت الدموع من عيني كالشلال ، وانهمرت
كالسيل ، وسقطت على طرف الفراش ، وأنا أخفي
وجهي بين كفي وأنتحب في ألم ..

لقد نجحت (نزمين) ..

لم تكن أحلامي مجرد وهم ..

إنها حقيقة .. حقيقة ..

إن (أكرم) يحب (نزمين) ..

بحب توءمتي ..

بحب مرآتي السوداء ..

وأخذت أبكي وأبكي .. حتى سمعت صوت

(أكرم) ، وهو يتحدث مع (نزمين) في شرفة الفيلا ..

أسرعت أجفف دموعي ، وتسليت على أطراف

أصابعي إلى الشرفة ، حتى يمكنني سماع حديثهما ..

واختفيت خلف باب الشرفة ، واختلست النظر

إليهما ..

وبما ليقتي ما فعلت ..

لقد رأيت (أكرم) ، وهو يضم كف (نزمين)

إلى صدره في حب ، ويقول في وله :

— أحبك .. أحبك يا (نزمين) ..

ومادت بي الأرض ، وترنحت ، وخيل إلى أن

السما تظلم من حولي ، وأن الدنيا كلها قد تحولت إلى

مرآة سوداء كبيرة ..

وسقطت فاقدة الوعي ..

لست أدري كم من الوقت ظللت هكذا ، ولكنني

أفقت لأجد نفسي هنا ، في مستشفى الأمراض العصبية

والنفسية ، أخضع لعلاج مكثف ..

وانتظرت قدوم (أكرم) لرؤيتي ..

انتظرت أن يأتي ويفسر لي ما رأيت ، وما سمعته ..

كنت سأقبل أي تفسير ، لأنني أحبه ..

كنت سأقبل أي شيء لو أنه جاء ..

ولكنه لم يفعل ..

حتى (نزمين) لم تأت لزيارتي ..

أى وحدها تزورنى ، وتبكى على فراشى ، حتى
أنتى أنظاها أمامها بالشفاء ، حتى لا أحطم مشاعرها ..
وما زلت أنتظر (أكرم) .. أو (نزمين) ..
ولست أدرى إلى متى ؟ ..
إلى متى سأنتظر ؟ ..

...



١٥ - التحليل ..

جلس (حسنى) واجماً فى حجرة (مراد) ، يداعب
ذقنه بأصابعه فى عصبية ، وينقر على المنضدة الموضوعة
أمامه بأصابع يده الأخرى ، متجاهلاً كوبى الشاي ،
الذين ظلا على حالهما ، دون أن يمسهما أحد ، منذ ساعة
كاملة ، إلى أن نغم (مراد) :
- ما رأيك ؟

رفع (حسنى) إليه عينين حائرتين ، وقال :

- إن قصتها تبدو مقنعة .

ابتسم (مراد) ، وهو يقول :

- كيف ؟

صمت (حسنى) لحظة ، وكأنه يحاول ترتيب
أفكاره ، ثم قال :

- قصة الأخت التوامة أقرب إلى منطقى ، من
إصابة (نسرين) بانفصام الشخصية ، ثم إن قصة جدتها
المريضة أمر يمكن التأكد منه بسهولة .

ابتسم (مراد) ابتسامه واسعة ، واثقة ، وقال :

— إنه جدار دفاعي يا صديقي .

عقد (حسني) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— جدار دفاعي ؟ !

هز (مراد) رأسه في وقار ، وأشعل غليونه

الصغير في هدوء . ونفث دخانه في عمق ، ثم قال :

— لقد روت لك نفس القصة التي روتها لي

يا صديقي ، ولكنني — بحكم دراستي — قرأت بين

مطور قصتها ما لم تقرأه أنت .

ونفض من خلف مكتبه ، وصار في أرجاء الحجرة

في هدوء ، وهو يستطرد :

— لو أنك لاحظت توقيت ظهور (نرمين) ،

تلك التوهمة الوهمية ، لاحظت أنه يرتبط بالصلمة

العصبية ، التي أصابت (نسرين) ، بعد وفاة والدها ،

لقد فقدت بوفاته آمالها ، وأحلامها — على حد قولها —

وبدأ عقلها الباطن يصارع لإيجاد وجه آخر للصراع ،

يمحو من عقلها الواعي صلمة وفاة الأب ، ومن هنا

نشأت في أعماقها شخصية (نرمين) ، تلك اللاهية
العابثة ، التي تحمل قلباً بلا مشاعر ، والتي لا ولن
يحطمها وفاة الأب ، وبدأ عقلها الباطن يخلق صراعاً
وهمياً بين شخصيتها ، وحوارات عاصفة ، واختلافات
جوهريّة ، ثم اختلق مرض الجدة ، ليعمل تارجع
(نسرين) بين شخصيتها ، وعندما تعرفت (نسرين)
(أكرم) ، نشأ في أعماقها عالم جديد ، ألا وهو عالم
الحب ، الذي حرك أولاً مشاعر (نسرين) ، ثم انتقل
إلى شخصية (نرمين) الوهمية ، نظراً لقوة الشعور ،
وفسر عقلها الباطن مقابلاتها مع (أكرم) ، وهي في
شخصية (نرمين) ، على أنها نوع من الأحلام ، التي
تراود خيالها ، حتى قاربت الشخصيتان الاندماج
والامتزاج ، وهنا خيل إليها أنها كـ (نسرين) تنطلق
إلى الموقف الذي دار بينها ، وهي في شخصية (نرمين)
وبين (أكرم) ، وتصارعت الشخصيتان في أعماقها .
وفي عقلها الباطن ، فأصابها ذلك الانهيار العصبي ،
الذي تعالج منه الآن .

استمع إليه (حسنى) فى اهتمام ، ثم هز رأسه فى حيرة ، وقال :

— ألا يمكن أن تكون مجرد أحلام فعلا ؟

ابتسم (مراد) ، وهو يقول :

— هل رأيت فى حياتك كلها أحلاماً بمثل هذا الوضوح والصدق .

قلب كفيه فى حيرة ، وقال :

— يقولون إنه هناك رابطة روحية بين أى تومين .

ضحك (مراد) ، وهو يقول :

— هذا إذا كان هناك توم بالفعل .

ساد صمت ثقيل فى الحجرة ، بعد عبارة (مراد)

الأخيرة ، قبل أن يقطعه هو ، قائلاً :

— والآن ما رأيك ؟

نغم (حسنى) فى حزم :

— إنها غارقة حتى أذنيها فى حب (أكرم) .

عقد (مراد) حاجبيه ، وهو يقول :

— ماذا تعنى بقولك هذا ؟

أجابه (حسنى) فى حماس :

— أعنى أن الأمل الوحيد فى شفائها ، هو أن تزوج (أكرم) .

— قد يحطمه ذلك .

— ربما ، ولكن فراقهما سيحطم كليهما .

— لن يحتمل (أكرم) مرضها .

— حبه لها سيجعله يحتمل .

— متصيه بالآلام نفسية رهبة ، وهى فى شخصية

(تومين) .

— لن يبالي .

— العذاب الطويل يؤدى إلى الانهيار .

— والمحـب يصنع المعجزات .

مط (مراد) شفنيه عند هذه النقطة ، وقال :

— لئنى أخالفك الرأى ، ولكن رأينا لا قيمة

لها ، فالمهم هو رأى (أكرم) نفسه .

فتح (حسنى) فمه ، وكاد ينطق بكلمة ما ، ولكن

في محنته ؟ الحب يا صديقي ليس مظلة نحمليها في يوم
مصور ، ونلتقي بها في يوم مطير ، بل إنه الأمان ، والحنان ،
والقوة ، وسأ تزوج (نسرين) ، وأمنحها كل حبي
وحضائي ، حتى ولو كان احتمال شفائها لا يتجاوز
الواحد في المائة .

تبادل (حسني) و (مراد) نظرات مشفقة ، في
حين سأل (أكرم) (مراد) في حزم :
- ما رقم حجرتها يا (مراد) ؟

تغمغم (مراد) :
- فكر في الأمر أولاً يا (أكرم) و ..
عاد (أكرم) بقاطعه في صرامة :
- ما رقم حجرتها يا مراد ؟
أجابته (مراد) في يأس :
- خمسة وأربعون .

تهب (أكرم) في ارتياح ، وقال :
- سأذهب إليها ، وسأرجوها أن تقبل اعتناري

وحبي .

ثم ابتسم ، وهو يردف :
- وأنا واثق أنني لن أندم أبداً .

وفي حركة سريعة ، فتح باب حجرة (مراد) ،
وهمّ بالعدو نحو حجرة (نسرين) ، ولكنه توقف
مشدوهاً ، وتعلقت عيناه بالغادة الرقيقة ، التي تقف
أمام باب الحجرة ، وهتف في صوت يمجج بالسعادة
والدهشة والحب :

- (نسرين) !!

تطلع (مراد) و (حسني) إلى الفتاة بذهول ، في
حين امتلأت عيناهما بالدموع ، وخفضت وجهها ،
وهي تغمغم :

- لست (نسرين) يا (أكرم) .. أنا (نرمين) ،
توصفها .

• • •

كانت المفاجأة مذهلة ..

بل أكثر من مذهلة ..

لقد ظللنا نصدق في وجه الفتاة فاغرى الأفواه ،
قبل أن يهتف (مراد) :

- لقد أصابها المرض مرة أخرى .

ثم انقلت من مكانه ، وانطلق بخطوات سريعة ،
متجاوزاً (أكرم) والفتاة ، ومغادراً الحجرة كلها ،
في حين أمسك (أكرم) كف الفتاة في حنان ، وقال :
- (نسرین) ، حبيتي .. لقد عدت إليك ..
لقد ..

انهمرت دموع الفتاة ، وهي تقول :

- لست (نسرین) يا (أكرم) .. صدقتي ..

قادها في حنان إلى مقعد قريب ، ورأت على
كفها في حب ، وهو يغمغم :
- لا بأس يا حبيتي .. لا بأس .

لم تكذ تجلس حتى عاد (مراد) ، وحسني في
وجهها بنهول ، قبل أن يفوه بكلمات لاهثة :
- إنها ليست (نسرین) .. (نسرین) الحقيقية
ترقد في فراشها .

عاد (حسنی) و (أكرم) يحدقان في وجه الفتاة
بنهول ، وهتف (أكرم) :
- من أنت إذن ؟

أجابته ، وهي تطلق للموعها العنان :

- قلت لك إني (نرمين) .
ألقى جسده إلى جوارها ، وكأنما عجزت قدماه
عن حمله ، وهو يغمغم في ذهول :

- إذن ف (نسرین) ليست مصابة بانفصام
الشخصية .. (نسرین) و (نرمين) شخصيتان منفصلتان .
أومات برأسها إيجاباً في حزن ، وغمغمت في ألم :
- نعم يا (أكرم) .. هذا صحيح .

انقلب النحول في ملامحه إلى غضب ، وأمسك
معصمها في قوة ، وهو يقول :

— لماذا خدعتني ؟ .. لماذا ؟

انطلقت تبكي وتنتحب في حرارة ، ولكنه كرر
سؤاله في عصبية ، فرفعت عينيها إليه ، ونعممت :
— لأنني لم أخدعك يا (أكرم) .. لقد أحبتك ..
صدقني .

نعم (أكرم) في حق :

— الخداع والحب نقيضان .

تعلقت بذراعه ، وهي تقول في ألم :

— ولكنني أحبتك .. صدقتي .

أزاح يدها عن ذراعه في حيرة ، ونهض من
مقعده ■ وهو يقول في صرامة :

— لماذا فعلت ذلك ؟

أطرقت برأسها ، وعادت عيونها تمتلئ بالدموع ،
وهي تقول :

— هل تعاقبني لأنني أحبتك ؟

هتف في غضب :

— لقد حطمت شقيقتك بلارحة من أجل حبك هذا .

نعمت في ألم :

— لقد فعلت هذا من أجلك .

صاح بها في قسوة :

— وأنا أرفض هذا .

تدخل (مراد) ، قائلاً :

— رويدك يا (أكرم) .. (نرمين) تعاني ألماً

شديداً .

نظرت إليه (نرمين) في امتنان ، ثم عادت تطرق

برأسها ، وتقول في حزن :

— سأشرح لكم كل شيء ، سأقص عليكم كل

ما حدث ..

وانطلقت تروي ..

• • •



نشأت منذ طفولتي في مجتمع ، تختلف تقاليده تماماً عن مجتمع مصر ، ونموت وسط أسرة صغيرة للغاية .
هي والدي فحسب ، وحتى هو لا يمكن اعتباره أسرة بالمعنى المفهوم . فهو لم يكن بمنحني أى قدر من الاهتمام ، ويكتفى بالإتفاق على في مخاء ، ثم يتركني لمجموعة من المربيات السويسريات ، اللاتي اهتمن بتنشئي طبقاً لتقاليد ذلك المجتمع ، ولولا حديث أبي القصير ، الذي كان يتبادلته معي يومياً ، قبل انصرافه إلى أعماله المتعددة ، ما استطعت التحدث بالعربية قط ..

وطوال إقامتي مع أبي في (سويسرا) ، لم يشر قط إلى أمي أو شقيقي التوامة (نسرين) ، حتى أنني لم أعلم عنهما شيئاً ، إلا بعد وفاته ، حينما سلمني محامي خطاباً منه ، وأبلغني في أسف أن والدي قد خسر كل ثروته ، بسبب مداومته على لعب القمار ، ومضارباته الجنونية في بورصة الأوراق المالية ..

ووجدت نفسي فجأة أمام مفاجأتين : أولها أنني مفلسة تماماً ، وثانيهما أن لي أسرة تعيش في مصر ، وبعملية حسابية بسيطة ، وجدت أنه ليس أممي إلا العودة إلى مصر ، والعيش في كنف هذه الأسرة ..
ولقد كان لقائي مع والدي وشقيقي مدهشاً ، فلقد استقبلني والدي في لحظة وفرح عارمين ، واستقبلني (نسرين) بسعادة غامرة ، ولكن أكثر ما أدهشني في هذا اللقاء هو ذلك التشابه المذهل بيني وبين (نسرين) ، والذي جعلني أقارن بيننا على نحو تلقائي ..
وبمرور الوقت اكتشفت أننا نختلف تماماً ، باستثناء الشكل الظاهري ، ولقد أثار هذا الاختلاف الجلري دهشتي وفضولي في البداية ، ثم لم ألبث أن اتخذته مثاراً للتندر والسخرية ، وبذلت جهداً كبيراً لإتقان اللهجة المصرية . وإخفاء تلك اللكنة الأجنبية في صوتي ، حتى نجحت في التحدث بأسلوب (نسرين) ولهجتها تماماً ، وبدأت أستغل ذلك التشابه في العبث واللهو ، لنفصية وقتي في مصر ..

وكنيت طوال الوقت أعتبر أُمى وشقيقتى ساذجتين ،
فلقد تعمدت منذ وصولى لإخفاء أمر إفلاس والدى
عليهما ، ولكن إحداهما لم تحاول سؤالى عن ثروته أو
ميراثهما منه ، وكان هذا بمقاييس المجتمع الأوروبى ،
الذى نشأت فيه ، سداجة ..

وبمرور الوقت تحول هذا العبث إلى نوع من العناد ،
مما أنشأ كراهية مشتركة بينى وبين (نسرين) ، وكانت
هذه الكراهية نفسها تدفعنى لمزيد من العبث واللهو ..
حتى ظهر (أكرم) فى حياتى ..

عندما التقى بى لأول مرة ، فهمت على الفور أنه
يظننى (نسرين) ، وراقب لى وسامته فقررت أن أتخذ
من ظنه أننى (نسرين) ماثراً للعبث واللهو ، وتمضية
الوقت ، ولكننى فوجئت به يصدنى فى صرامة وحدة ،
ويؤكد لى فى كل مرة أنه يحب رقة (نسرين) وحظائها ..
ولقد شعرت بسعادة شديدة « حينما رآنى أراقص
أحد الشباب ، وانصرف غاضباً ، فقد تصورت أنه
سيكره (نسرين) بعد ذلك تماماً ، وتجاهلته بعد ذلك

بضعة أيام ، وأنا أظن أنه سيعود ليعتذر ..
ولكنه لم يفعل ..

وكان هذا مفاجئاً لى ، فقد اعتدت من كل الرجال ،
فى ذلك المجتمع الأوروبى ، أن يزحف الواحد منهم
خلف المرأة التى يحب ، مهما فعلت به ..
وبدأت أعيد تقييمى للأمور ..

وعندما عدت إلى القاهرة لرعاية جدتى « امتلاً
عقل بصورة (أكرم) ، وكشفت أننى أحبه ..
أحبه من أعماق قلبى .

ولم أحتمل قضاء الأسبوع كله بعيداً عنه ، فهرعت
إليه بعد خمسة أيام ، واستطعت إقناع (نسرين) بالسفر
إلى القاهرة ، ثم ذهبت إليه ، وقد قررت إيقاعه فى
حى « مهما كان الثمن ..

ولكن (أكرم) كان غارقاً حتى أذنيه فى حب
(نسرين) ، وكان يكره أسلوبى تماماً ، مما جعلنى
أنهار باكياً ..

ونعمرنى هو بخنانه ، وأيقظ فى أعماقى دفقاً من

مشاعر ، كنت أظني لا أمتلكها مطلقاً ، وقبل أن
 أصدق أنه يحبنى ، عاد يخاطبني باسم (نسرین) ..
 واثارت مشاعري ، وامتلات بالغضب ، وانطلقت
 من أمامه هاربة ، وأنا أبكي ألماً ..
 لماذا يحب (نسرین) ؟ ..
 فم يفضلها عني ؟ ..
 وفي هذه الليلة سبحت في بحر من الدموع ،
 وتكشفت لي حقيقتي الشريرة ، وتبينت أنني مجرد
 صورة في مرآة سوداء له (نسرین) ..
 وفي تلك الليلة أيضاً حدثت المعجزة ..
 لقد اغتسلت في نهر دموعي ، وطهرتني ذلك من
 شروبي « ورغباتي السيئة ، وشعرت وأنا أستيقظ في
 اليوم التالي ، أنني مخلوقة أخرى ..
 مخلوقة تمتلئ بالحب والحنان والرفقة ..
 وقررت أن أصارح (أكرم) بحقيقة الأمر ، وعليه
 هو أن يختار ..
 إما أنا ، أو (نسرین) ..

ويبدو أن دموعي كانت مطهراً رائئاً ، فلقد
 انتابني شعور بالإثم « لأنني أحاول خطف (أكرم)
 من (نسرین) ..
 وحاولت أن أصده في اليوم التالي ، ولكنني لم أستطع ..
 كلماته الحانية جعلتني أعجز عن أن أصده ..
 وعادت رغبتني القوية في الاعتراف ، فصحبته إلى
 الشاطئ ، ولم يكذب بخاطبني باسم (نسرین) حتى انتابني
 الغضب ، وانطلقت أقول له الحقيقة ..
 حقيقة أنني (نرمين) « ولست (نسرین) ..
 ولكنه بدا وكأن ذلك لم يفاجئه ..
 وكأنه كان يعلمه منذ البداية ..
 وقال إنه يحبنى ..
 أنستني عبارته كل شيء ..
 أنستني (نسرین) ، ورغبتني في التطهر ..
 أنستني حياتي كلها ..
 وكدت أطير فرحاً « حينما أعطاني صورته ،
 وكتب الإهداء خلفها باسمي ..
 كنت أسعد مخلوق في الوجود ..

ران صمت عميق على جو الحجرة ، بعد أن انتهت
(نرmin) من قصتها ، ولم يكن يقطع هذا الصمت إلا
صوت بكائها المكتوم ، حتى تهد (أكرم) في قوة ،
جعلت الجميع يلتفتون إليه ..

ولقد أدهشهم ذلك التبدل المفاجئ في ملامحه ..
لقد زال شحوبه ، وأشرق وجهه بالارتياح ،
وتألفت عيناه بالسعادة ، ولقد استقبل نظراتهم الدهشة
بابتسامة عريضة ، وهو يقول :

- حمداً لله ، لقد اتخذت قرارى بالعودة إلى
(نسرin) ، قبل أن أستمع إلى قصة (نرmin) ، وإلا
لظل الشعور بالذنب يراودنى طيلة عمرى .

رفعت (نرmin) إليه عينيها الدامعين ، ونغمضت
في حزن :

- اذهب إليها يا (أكرم) .. أنا لا أصلح لك .
تطلع إليها (أكرم) في عطف ، ثم اقترب منها ،

ثم عادت (نسرin) وأصابها ذلك الانهيار العصبي ..
لقد أدهشتنى حالتها في البداية ، ولكننى لم أكد
أرى صورته الملقاة فوق الفراش ، حتى استتجت كل
شئ ، وعلمت أننى السبب فيما أصاب شقيقى ..
وانهارت مشاعرى ..

ظللت أبكى طيلة اليوم ، وتركت أى نهسر
بـ (نسرin) إلى المستشفى ، وأنا أخشى رؤيتهما ..
وكرهت نفسى ..

كرهت ذلك الشر القابع في أعماقى ..
ولم أستطع رؤية (نسرin) طوال الأيام الأربعة
الماضية ، خوفاً من أن أنهار إلى جوارها ، وأعترف
بذنبى كله ...

واليوم .. اليوم فقط ، نجحت في استجماع شجاعتى ،
وأثبت هنا لأعترف ، عسى أن يطهرنى الاعتراف ،
ويضيء مرآتى السوداء ..
وهأنذا أعترف ..

• • •

وَرَبَّتْ عَلَى كَفِّهَا فِي حَنَانٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

— لَقَدْ قَتَ بِعَمَلٍ عَظِيمٍ يَا (نَرْمِين) .

عَمَغَمْتُ فِي أَلَمٍ :

— لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ سَهْلًا .

ابْتَسَمَ وَهُوَ يَقُولُ :

— أَعْلَمُ ذَلِكَ .

نَهَضَتْ (نَرْمِين) فِي بَطْءٍ ، وَتَطَلَّعَتْ إِلَى عَيْنِي

(أَكْرَم) ، وَهِيَ تَقُولُ :

— بِأَذْهَبَ .

سَأَلَهَا فِي هَدوءٍ :

— إِلَى أَيْنَ ؟

هَزَتْ رَأْسَهَا فِي حَيْرَةٍ ، وَقَالَتْ :

— لَسْتُ أَدْرِي ، وَلَكِنِّي أَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ

أَذْهَبَ .

ابْتَسَمَ (أَكْرَم) فِي إِشْفَاقٍ ، وَقَالَ فِي حَنَانٍ :

— رُبَّمَا كَانَ هَذَا مُحِيطًا بِالنِّسْبَةِ لِلْمَجْتَمَعِ

الْأُورُوبِيِّ ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِمِصْرَ ، فَتَحَنَّنَ

هَذَا نَقْلُ رُوحِ الْأُسْرَةِ ، وَمَهْمَا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ ،

فَسْتَظْلِلِينَ أَبَدًا شَقِيقَةً (نَسْرِينَ) .

وَتَرَدَّدَ لِحِظَةً ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَطِرِدَ :

— وَشَقِيقَتِي .

ارْتَجَفَتْ خَلْجَاتُهَا فِي انْفِعَالٍ ، وَهِيَ تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ ،

ثُمَّ أَطْرَقَتْ بِرَأْسِهَا ، وَنَعِمَتْ :

— هَلْ غَفَرْتَ لِي ؟

هَتَفَ فِي حِمَاسٍ صَادِقٍ :

— بِالطَّبَعِ .

عَادَتْ تَسْأَلُهُ فِي أَمْسٍ :

— وَهَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ (نَسْرِينَ) يُمْكِنُ أَنْ تَغْفِرَ ؟

ابْتَسَمَ فِي حَنَانٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

— أَنْتَ تَعْلَمِينَ كَمْ هِيَ رَقِيقَةٌ حَائِيَةٌ .

لَو تَفَرَّعَ حَاجِبَا (نَرْمِين) فِي حَنَانٍ ، ثُمَّ انْهَمَسَتْ

دُمُوعُهَا ، وَهِيَ تَهْتَفُ فِي مَرَحٍ :

— مَأْعُودٌ إِلَى الْفَيْلَا .. سَاعِدْ لَكُمَا حَفْلًا رَائِعًا ،

وَمَأْسُجِلًا كَمَا عِنْدَمَا تَعُودَانِ مَعًا .

ثم أسرع إلى باب الحجرة ، وفتحته في لحظة ،
واستدارت قبل أن تغادرها ، وهي تقول في سعادة :
- معاً يا (أكرم) .

منحها (أكرم) ابتسامة عذبة ، فتألق وجهها
بابتسامة مماثلة ، وأغلقت الباب خلفها ، وتسلك إليهم
صوت خطواتها المرحية ، وهي تبتعد بسرعة ..
مرت لحظة من الصمت ، قبل أن يهتف (حسن) .
- يا لها من قصة عجيبة !!

ثم التفت إلى (مراد) ، وسأله :
- ما رأيك ؟

ابتسم (مراد) ابتسامة خجلى ، وهو يغمغم :
- رأيي أنه لا بد لي من إعادة قراءة كل ما درسته
في الطب النفسي يا صديق .

ضحك (حسن) في مرح ، والتفت إلى (أكرم) ،
وسأله :

- وأنت .. ماذا ستفعل ؟

أشرق وجه (أكرم) بابتسامة صافية ، وارتفع

حاجباه في حنان ، وهو يقول في عاطفته المتأججة :
- هل تسألني ؟

ثم غادر الحجرة في هدوء ، وأغلق بابها خلفه ،
فاعتدل (مراد) ، وسأل (حسن) في اهتمام :
- إلى أين سيذهب ؟

ابتسم (حسن) في حنان ، وقال :

- يا لك من طيب نفسى فاشل !! ألا تعلم إلى
أين سيذهب ؟

ابتسم (مراد) ، وهو يتراجع ليستند إلى ظهر
مقعده ، وهو يقول :

- لقد أردت اختبارك أنت ، فأنا أعلم أنه
سيذهب إليها .. إلى (نسرين) .

وفي نفس اللحظة ، التي نطق فيها (مراد) بعبارته ،
كان (أكرم) يعبر باب حجرة (نسرين) في هدوء ..
وكانت (نسرين) تبدو كحوريات الجنة ، في
ثوبها الأبيض القمصان ، وشعرها الأسود الفاحم ،
الذي يفسدل ناعماً على كنفها ، وهي تجلس على مقعد

أمام نافذة حجرتها ، وتتطلع إلى الأفق ..

واقترب منها (أكرم) في هدوء ، ووضع يده
على كفها في رفق وحنان ، وهو يهمس :
- (نسرین) .

تجمدت في مكانها لحظة ، ثم أدارت عينيها إليه
في ببطء وكأنها تخشى أن يكون صوته مجرد حلم ،
يرaud خيالها المثلث لرؤيته ..
والتقت عيونهما ..

ارتفع حاجبا (نسرین) في مزيج من الفرح والحنان
والحب ، وهي تحدق في وجه (أكرم) ، الذي ابتسم
في حنان دافئ ، ومد يده بتحسس شعرها الأسود ..
وترقرقت عينا (نسرین) بالدموع ، وأمسكت
كف (أكرم) ، التي ترتفع إلى شعرها ، واحتضنتها
في دفء وسعادة ، وهي تهمس في فرح :
- (أكرم) ؟ أهو حلم ؟

همس في حنان :

- بل حقيقة يا (نسرین) .

ارتفعت يدها الأخرى في لفة ، تتحسس وجهه
في فرح وسعادة ، وشعر بار تجاف أناملها ، وهي تتلمس
وجهه ، ورفع كفها إلى شفتيه ، وقبلها بكل ما يعمل
في أعماقه من حب ، وحنان ، وهو يقول :
- لقد عدت يا (نسرین) .. عدت ولن أتركك
أبداً .

سالت دموع الفرح من عينيها ، وهي تهمس :
- (أكرم) .. أنا .. أنا ..

همس هو في حنان :

- أنا أحبك يا (نسرین) .

استندت برأسها إلى جسده ، وهي تهمس :
- أنا أيضاً أحبك يا (أكرم) .

أطرق بوجهه في خجل ، وهو يغمغم :
- أعتقد أنني أدين لك بتفسير ، لقد ..

أوقفته بلحمة حانية من أناملها الشفوية ، وهمست
في حب :

- ليس الآن يا (أكرم) .. اتركني أرتوى برحيق

هذه المحطات ، وسيكون أمامنا العمر كله لتحدث
فيما مضى .

ثم أشارت عبر النافذة ، وقالت :
— انظر .. إنه موعدنا يا (أكرم) .. إنه غروب
الشمس .

رفع عينيه يتطلع إلى قرص الشمس الغارب ، ثم
عاد يتطلع إلى وجهها الجميل الرقيق ، وهو يهمس في
حب :

— بل هو الشروق يا حبيتي .. شروق شمس حبتنا ،
التي لن تغرب أبداً ، وعاد يحتضن كفها في حب وحنان ..
ونحطت المرأة السوداء ..

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٧٨٤٨

المؤلف



د. نيل فاروق

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

المرأة السوداء

التي (أكرم) بـ (نسرين) على شاطئ
العجى بالإسكندرية ، ولم يلبث الحب أن
نسج غموطه حول قلبيهما ، ثم ظهرت
(نرمين) ، التي حاولت انتزاع (أكرم) من قلب
(نسرين) .. فلمن يكون هذا القلب المحب ؟
لـ (نسرين) .. أم (نرمين) ؟ أم يتحطم
في قلب المرأة السوداء ؟



التمن في مصر

وما يعادل دولاراً أمريكياً في مائة الدول العربية والعالم